

الدكتور

زكي نجيب محمود

شاهد على العصر



حوار

عمر بطيشة



الدكتور

زكي نجيب محمود

شاهد على العصر

الناشر: دار الفاروق للاستثمارات الثقافية (ش.م.م)

العنوان: ١٢ ش الدقي – الجيزة – مصر
تليفون: ٣٧٦٢٢٨٣٠/ ٠٢ – ٣٧٦٢٢٨٣١/ ٠٢ – ٣٧٦٢٢٨٣٢/ ٠٢ – ٣٧٦٢٢٨٣٢/ ٠٢ – ٠٠٢/ ٠٢ – ٣٧٤٨٠٧٢٩/ ٠٢ – ٣٧٤٩١٣٨٨/ ٠٢
فاكس: ٣٣٣٨٢٠٧٤/ ٠٢

فهرسة أثناء النشر/ إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية. إدارة الشئون الفنية.

بطيشة، عمر.

الدكتور زكي نجيب محمود شاهد على العصر/ حوار: عمر بطيشة – ط ٠١ – الجيزة: دار الفاروق للاستثمارات الثقافية(ش م م) [٢٠٠٩] ٨٤ ص؛ ٢٢ سم. / ١٢

تدمك: 978-977-455-505-3

رقم الإيداع: ٢٢٦٩٠ / ٢٠٠٩

١- برامج الإذاعة.
٢- الفلاسفة المصريون
٣- محمود، زكي نجيب، ١٩٠٥-١٩٩٣.
أ- العنوان

ديوي: ٣٨٤,٥٤٤٣

الطبعة العربية الأولى: ٢٠١١
المطبعة: مطبعة آيات

www.daralfarouk.com.eg
www.darelfarouk.com.eg

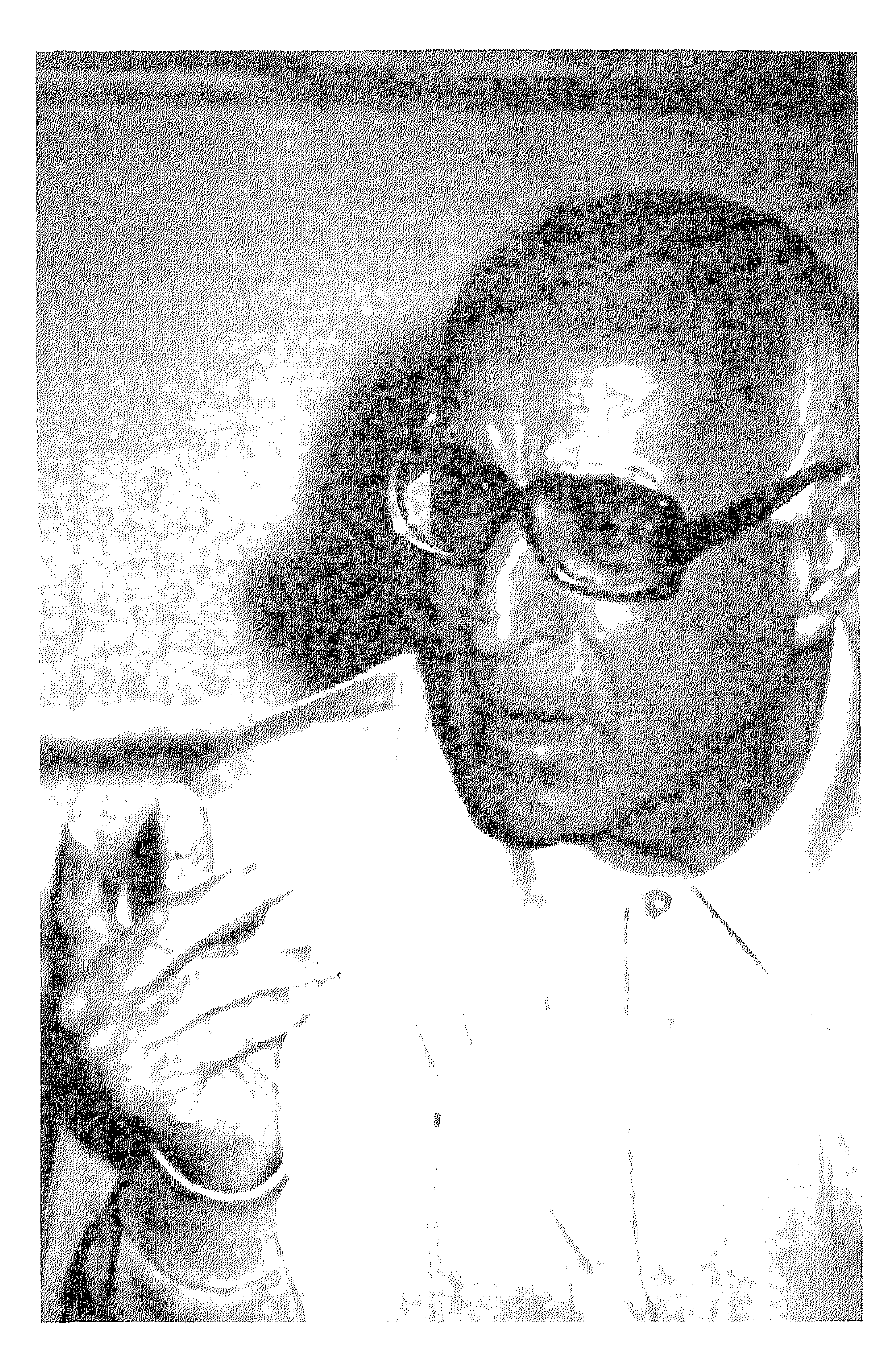
الدكتـــور

زكـــي نجيـــب محمـــود

شاهد على العصر

حـوار

عمر بطيشة



الدكتور زكي نجيب محمود

تقديم

شـهد وطننـا العديـدَ مـن الأحـداث الـسياسية والاقتـصادية والاجتماعية التي كان لها أثر كبير في تاريخنا المعـاصر، تباينـت حولهـا الآراء بين مؤيد ومعارض؛ ولأنه من حق الأجيال الجديدة أن تعرف تاريخ تلك الأحـداث المهمـة دون تزييـف أو تنميـق؛ لإيماننـا بحـق الناس الأصيل في المعرفـة، ولأن التـاريخ إذا كـان مـبهمًا أو مـزورًا؛ ترتب على ذلك تشوه في الوجـدان القـومي يـؤثر بـصورة حتميـة في الحاضر والمستقبل؛ لذا قمنا بنشر هذه السلسلة مـن برنـامج «شـاهد على العصر» – الذي كـان يقدمـه الإذاعـي اللامـع، الأسـتاذ: عمـر بطيشة؛ رئيس الإذاعة المصرية سابقًا – نعـرض مـن خلالهـا لـشهادة مجموعة من أبرز الشخصيات العامة التي كـان لهـا حـضور مـؤثر في الساحة الإعلامية؛ فكانوا بذلك شهود عيان على الفترة التي عاشـوا فيها. وقد أدلى كل منهم برأيه فيما شاهده من أحداث ووقـائع.. هـذا ولم نقتصر في اختيارنا لهذه الشخصيات على فئة معينة من الأفراد، أو

توجه سياسي معين؛ بل تناولنا شخصيات سياسية، وأدبية، وعلمية، تمثل كافة التيارات الثقافية والسياسية في مصر، وقد التزمنا الحياد التام، وتوخينا الصدق والأمانة في عرضنا لهذه الآراء كما أدلى بها أصحابها؛ لتكون سجلًّا موثقًا لفترة مهمة من تاريخنا المعاصر، آملين أن نكون قد قمنا بإثراء الوعي الثقافي لدى أبناء هذا الجيل.

الناشر

مقدمة

الفكر والعصر وجهان لعملة واحدة، فكلاهما صنيعة الآخر، بحيث إن ما يموج به العصر من ظواهر وتقلبات يترجمه الفكر نظريات وأفكارًا ومذاهب وتيارات، وما يصوغه الفكر انعكاس طبيعي لأحداث العصر.

ومن هنا تبدو الصلة وثيقة بين الفكر والعصر على عموم كلمة العصر، واتساعها لتشمل شرائح متعددة من التاريخ ينمو فيها الفكر. وهذا معناه أن الفكر الذي ينشأ في جزر منعزلة عن الواقع فكر هلامي لا أثر له في الحياة؛ لأنه لا يقدم حلولًا ومعالجات لقضايا الواقع ومشكلاته.

ولما كان سيال الأحداث يتدفق في كل عصر، كان هناك على بعد من الشاطئ عين ترصد في هدوء، فتجمع وتوفق، وتستقرئ وتستنتج، وتحلل وتعلل، وتعكف منكبة على المجهر تكبر الصورة حينًا، وتقربها حينًا آخر، وتبتغي من وراء ذلك كله نظرة أكثر عمقًا للمنظر، حتى تخرج بالنتيجة على أدق ما يكون.

وقد اصطلحنا على تسمية هذه العين الفاحصة المحللة بالمفكر، الذي يحمل مبضعه الفلسفي ليشرح به الواقع ويرصد ما يراه من

ظواهر جديرة بالدراسة، حتى يتوصل إلى حل للمشكلات الرئيسية التي يواجهها عصره.

والدكتور زكي نجيب محمود واحد ممن أتقن فن تشريح الواقع، أو ما يسميه هو «العصر»، حيث لم يكتف بالنظرة السطحية، وإنما غاص إلى الأعماق، وسبر الأغوار، فرد النتائج إلى أسبابها الأصلية، حتى إننا لنكاد نصوغ من كلامه نظرية عامة عن العصر وثقافته.

وتكمن أهمية شهادة شيخ الفلاسفة المعاصرين على العصر في أنها نابعة من رجل صب جل اهتمامه على العصر وثقافته، فمعظم مؤلفاته تحمل اسم العصر أو ما يدور في فلك هذه الكلمة ويلتقي معها في مدلولها، وإنما تبين لنا في الوقت نفسه طبيعة العصر الذي عاشه الدكتور زكي نجيب محمود، ففي كتابه «مجتمع جديد أو الكارثة» يتعقب شيخ الفلاسفة مشكلات المجتمع بحثًا عن جذورها والأصول الأولى التي ترتد إليها؛ رغبة في التعرف على الحلول الصحيحة كمحاولة لتخليص مجتمعنا العربي من الكارثة التي تحيق به.

وفي كتابه «ثقافتنا في مواجهة العصر» محاولة ثالثة نحو صيغة ثقافية تلتقي فيها أصولنا الموروثة مع ثقافة العصر الذي نعيش فيه - كما يقول في مقدمة الكتاب.

وهذا إن دل فإنه يدل على عبقرية خاصة تـوائم بـين مـا يتطلبـه العصر الحاضر وما فرضه العصر الماضي، فالذي يتوصـل في علاجـه لمشكلات العصر إلى صياغة عادلة تلتقـي فيهـا الجـذور مـع الثقافـة العصرية، لهو العبقري - أو كما يقول هيجل: «العبقري هو من يعرف متطلبات العصر ويلبيها».

إن الدكتور زكي نجيب محمود في شهادته هنا أشبه بالطبيب الذي أجرى الفحوص وقـام بالتحاليـل واستقـصى الأعـراض، فـشخص الحالة، وسمى الـداء، ورصـد مـوطن الميكـروب، وأوصى بـالعلاج النافع الذي يستأصل الداء ويجلب العافية.

ولا غـرو في ذلـك فقـد كـان في عملـه الأكـاديمي بالجامعـة وفي محاضراته وفي مقالاته وفي مؤلفاته، نموذجًا للمثقـف الملتـزم بقـضية الشعب والوطن المخلص في العمل بلا محاباة أو رياء.

الدكتور زكي نجيب محمود

وصف ياقوت الحموي في كتابه معجم الأدباء أبا حيان التوحيدي بأنه فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة؛ لأنه كان أديبًا موسوعيًّا يحاول مزج الفلسفة بالأدب، ويصوغها بلغة سلسة تقربها لأفهام الناس.

وعند البحث في قطار النهضة العربية عن وريث لهذا اللقب، فلن نجد من بين أعلام النهضة العربية في العصر الحديث أحق بهذا الوصف من شيخ الفلاسفة العرب المعاصرين المرحوم د. زكي نجيب محمود، الذي نجح حين أخفق غيره في صياغة أعقد القضايا الفلسفية وأعسرها هضمًا على العقل في أسلوب أدبي وقوالب بيانية قريبة المأخذ وسهلة الهضم، وتقديمها في ثوب جديد للقارئ العربي، ولم يقف نجاحه عند هذا الحد، بل امتد إلى فكّ أصعب الشفرات الفلسفية وجعلها في متناول قارئ الصحيفة اليومية، واستطاع بكتاباته أن يحرر الفلسفة من مخبئها ببطون الكتب وأروقة المعاهد

والجامعات لتحلق في آفاق أوسع من ذلك، وتؤدي دورًا فاعلًا في الحياة، فأصبحت الفلسفة على يديه أداة لحل مشكلات العصر.

وإذا كان هيدجر قد ذكر أن ماهية الفلسفة أن تجعل الأشياء أكثر صعوبة وأكثر ثقلًا وليس أن تجعلها أكثر سهولة وأكثر هشاشة - فإن الفلسفة عند الدكتور زكي نجيب محمود خلاف ذلك، فهي ليست ترفًا فكريًّا يمارسه الفيلسوف في برج عاجي، لا يسدد النظر إليه سوى الخاصة المتخصصة من المثقفين والمفكرين، أو مصطلحات غامضة ومسائل معقدة يحتاج فهمها إلى فك شفراتها حتى تصبح أدنى فهمًا وأقرب تناولًا.

لقد كان إحساس الدكتور زكي نجيب محمود بقضايا عصره ومشكلاته التي شغلت جانبًا كبيرًا من إنتاج المفكرين والمثقفين دافعًا إلى تعميق صلة الفلسفة بواقع الحياة ودورها في تقديم الحلول الناجحة لمشكلاتها.

ظهر الدكتور زكي نجيب محمود على مسرح الحياة الفكرية والأمة ما زالت تسير على خط التاريخ سيرًا مضطربًا، فما إن تتقدم خطوة حتى ترجع خطوات، وما إن تتحرر حركتها، حتى تتعثر في طريقها

وتضطرب في سيرها، وفي هذه الحال تكون حاجة الأمة إلى المثقف النابه والمفكر الواعي الذي يضبط حركتها ويوضح لها عثرات الطريق وعقباته أشد من حاجتها إلى من تستند عليه لتقوم من عثرتها وتستكمل سيرها المضطرب.

ولا شك أن هذه الحركة التائهة أثرت في الثقافة العربية فدخلت بها نفقًا مظلمًا، لم ندرك فيه ذاتنا وهويتنا، وقد عمق من هذه الغربة الاختلاف بين الثقافتين العربية والغربية الذي أدى إلى وجود مذاقين مختلفين لحياة الإنسان، فضلًا عن رواسب عصور التخلف وهي مزيج مرير من الرجعية، والتقليد والجمود والاكتفاء بالاجترار من الكتب القديمة، وإهمال العقل، والولوع بالكلام على حساب الفعل، واستبداد السياسة وغياب الحريات، والميل إلى الجانب الديني على حساب الجانب الدنيوي، وترك روح المغامرة لحساب روح الجمود.

والمطالع لإنتاج شيخ الفلاسفة المعاصرين الدكتور زكي نجيب محمود سيجد أن معظمه يدور حول البحث عن سبل لعلاج هذه التجليات، فقد حمل فترة طويلة هم التوفيق بين الفكر المعاصر أو الثقافة المعاصرة وبين تراثنا الماضي بغية التوصل إلى صيغة ثقافية أو موقف

ثقافي نواجه به عصرنا، وتخرج من خلالها الثقافة العربية من نفقها المظلم. وقد تمخض جهد الدكتور زكي نجيب محمود في هذا الاتجاه عن محاولات ثلاث، كانت المحاولة الأولى في كتاب «تجديد الفكر العربي»، والمحاولة الثانية في كتاب «المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري»، والمحاولة الثالثة في كتاب «ثقافتنا في مواجهة العصر».

تنقلات في فكر د. زكي نجيب محمود:

ربما يفاجأ الكثيرون ممن يلقون بسهام طائشة على طريق الحق والإنصاف ويطعنون من خلف حجاب بأن الدكتور زكي نجيب محمود بدأ متدينًا وانتهى متدينًا، وأنه مر بين البدء والمنتهى برحلة طويلة لم ير الحاقدون عليه سواها، فاعتمدوا عليها في تشويه صورته وفكره ورميه بأغلظ التهم وأشنعها.

لقد مرت حياة زكي نجيب محمود الفكرية بثلاثة أطوار، الأول هو طور التدين الخالص، حيث تلقى تعليمه الأولي في الكتّاب كدأب غيره من أبناء القرى، ومال به هذا التدين إلى شاطئ التصوف في مطلع شبابه، وفي هذه المرحلة نجده يقول عن نفسه في كتابه

«قصة عقل»: «كنت غلامًا تسري في أوصاله المشاعر الدينية إلى حد الخشوع الذي يتصدع له الجبل».

والطور الثاني هو طور العقل الخالص، أو ما يمكن تسميته بمرحلة «الإيمان بالعقل»، ويقول الدكتور زكي عن تلك المرحلة: «لقد سرت في خلالها على خطين متوازيين: إحداهما الدعوة إلى ثقافة العصر، والآخر الدعوة إلى التجريبية العلمية في صياغة الأفكار».

ونفهم من هذا أن فكره في هذه المرحلة - والتي بدأت في منتصف الأربعينيات – كان يدور حول محوزين أساسيين:

المحور الأول: نقد الحياة الاجتماعية في مصر على أسس عقلية ترفض القهر والاستبداد، ولا تكتفي بهذا الرفض، بل تقدم نماذج من الفلسفة القديمة والحديثة والآداب تبرز الجانب التنويري للأخذ به، وقد عبر عن اتجاهه هذا في الكتب الثلاثة التي اشترك في تأليفها مع أحمد أمين، وهي: «قصة الفلسفة اليونانية»، و«قصة الفلسفة الحديثة»، و«قصة الأدب في العالم». وكان من أهم الأفكار التي اعتنقها في هذا الوقت فكرة التقدم.

وقد لجأ الدكتور زكي نجيب محمود في نقده للحياة الاجتماعية إلى تحليل الواقع الاجتماعي تحليلًا ينأى عن العواطف والمشاعر، مستهديًا بنور العقل وحده؛ فشن حملة ضارية على القيم الفاسدة والمغلوطة التي تسيطر على عقول أمتنا، والتي أدت إلى شيوع القهر والظلم والاستبداد، ولذا جاء نقده حاسمًا وقاسيًا في الوقت نفسه، ولكنها – وكما يقول: «قسوة المواطن يحب وطنه، ويثيره أن يراه قد تنكب جادة الطريق».

المحور الثاني: النظرة العلمية إلى الظواهر من خلال رد النتائج إلى أسبابها، فقد رأى أن هذه النظرة يفتقر إليها مجتمعنا، وأدى غيابها إلى غياب أمتنا عن المشهد الحضاري بعد أن كانت أبرز الحضور عليه في الماضي.

وفي هذا الطور الفكري تبنى الدعوة فور رجوعه من أوربا إلى تغيير سلم القيم إلى النمط الأوربي، والأخذ بحضارة الغرب وتمثلها بكل ما فيها باعتبارها حضارة العصر، ولاشتمالها على جوانب إيجابية في مجال العلوم التجريبية والرياضية، ولها تقاليد في تقدير العلم وفي

الجدية في العمل واحترام إنسانية الإنسان، وهي قيم مفتقدة في العالم العربي.

كما دعا في هذه الفترة من حياته الفكرية إلى الفلسفة الوضعية المنطقية ونذر نفسه لشرحها وتبسيطها، وهي فلسفة تدعو إلى سيادة منطق العقل، وإلى رفض التراث العربي وعدم الاعتداد به. وقد عبر إنتاجه الفكري في هذه الفترة عن هذا الاتجاه مثل «الفلسفة الوضعية» و«خرافة الميتافيزيقا».

أما الطور الثالث في رحلته الفكرية، فهو مزج عبقري للطورين السابقين، لذا يمكن أن نسميه طور «التدين المستنير بنور العقل»، فقد ظهرت بواكير هذا التوجه في كتابه «الشرق الفنان» عام ١٩٦٠، ثم نضجت الثمرة أثناء عمله بجامعة الكويت، واستمر على هذا الخط الفكري إلى أن وافته المنية. ويلخص توجهه في تلك الفترة بقوله: «إننا نريد لأمتنا أن تسير مع العلم بقوة الإيمان».

ونلمحه في هذه الفترة وقد آب إلى التراث العربي، لينقب فيه عن الأفكار الجديدة التي تمخضت عن العصر، فظل عاكفًا عليه يقرأه

قراءة مستنيرة، ويبحث فيه عن سمات الهوية العربية التي يلتقي فيها الشرق والغرب، والتي تتوافق فيها العديد من الثنائيات، كالحدس والعقل والروح والمادة والقيم والعلم.

وقد انتهى به الغوص في هذا التراث إلى الدعوة إلى فلسفة جديدة برؤية عربية تبدأ من الجذور ولا تكتفي بها، فنادى بتجديد الفكر العربي، والاستفادة من تراثه، وقال: «إن ترك التراث كله هو انتحار حضاري؛ لأن التراث به لغتنا وآدابنا وقيمنا وجهود علمائنا وأدبائنا وفلاسفتنا».

فهذه أطوار ثلاثة تمثل الحركة العامة للخط الفكري للدكتور زكي نجيب محمود تثبت بما لا يدع ريبًا لمرتاب أن الرجل الذي ظل هدفًا لتشكيك الكثيرين بدأ متدينًا وانتهى كذلك، وأنه خاض رحلة طويلة في البحث والتنقيب انتهت بمراجعات تبلورت في مشروعه الفكري الذي من أبرز سماته الأصالة والتجديد في الثقافة العربية المعاصرة.

الدكتور زكي نجيب محمود في سطور

- ولد الدكتور زكي نجيب محمود في الأول من فبراير عـام ١٩٠٥ بقرية ميت الخولي عبد الله، التابعة حاليًّا لمركز الزرقا، محافظة دمياط، مصر.

- تلقى تعليمه الأولي بالقاهرة، ثم انتقل مع أسرته إلى السودان، وهناك أكمل تعليمه الابتدائي والثانوي، ثم عاد إلى القاهرة والتحق بمدرسة المعلمين العليا، وتخرج فيها سنة ١٩٣٠م.

- عمل بالتدريس في التعليم العام، ثم نال منحة دراسية إلى إنجلترا لنيل الدكتوراه في الفلسفة، وتمكن من الحصول عليها من جامعة لندن عام ١٩٤٧ م، وكانت أطروحته بعنوان «الجبر الذاتي»، وقد ترجمها تلميذه الدكتور إمام عبد الفتاح إلى العربية.

- اشترك في الحياة الثقافية منذ عام ١٩٣٠م، وانضم إلى لجنة التأليف والترجمة والنشر، وقدم سلسلة من الكتب عن تاريخ الفلاسفة وتاريخ الأدب، وأشرف على تحرير مجلة (الثقافة) منذ عام ١٩٤٩ - ١٩٥٣م.

- سافر إلى أمريكا للتدريس في جامعاتها سنة ١٩٥٢م، وعمل بعدها مستشارًا ثقافيًا بسفارة مصر بواشنطن.

- سافر إلى الكويت سنة ١٩٦٨م للعمل بجامعتها.

- بعد عودته إلى مصر التحق بهيئة التدريس في قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة، وظل بها حتى أحيل إلى التقاعد.

- عُيِّن عضوًا في المجلس القومي للثقافة.

- نال جائزة الدولة التشجيعية سنة ١٩٦٠م في الفلسفة عن كتابه (نحو فلسفة علمية)، ونال جائزة الدولة التقديرية في الآداب سنة ١٩٧٥م.

- منحته جامعة الدول العربية أولى جوائزها سنة ١٩٨٤م، ثم منحته الجامعة الأمريكية الدكتوراه الفخرية سنة ١٩٨٥م، كما منحته دولة الإمارات جائزة (سلطان بن عويس) في الفلسفة سنة ١٩٩١م.

- قدم زكي نجيب محمود سيرته الذاتية في ثلاثة كتب هي: «قصة نفس»، و«قصة عقل»، و«حصاد السنين» الذي أصدره سنة

(١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، وهو آخر كتبه، وتوقف بعدها عن الكتابة، بعد أن شعر أنه أدى رسالته ولم يعد لديه جديد يقدمه، بالإضافة إلى ضعف بصره الذي اشتد عليه ومنعه من القراءة والكتابة. وظل على هذا الحال حتى أدركته منيته في ١٢ ربيع الأول ١٤١٤ هـ/ ٨ سبتمبر ١٩٩٣ م.

له في الفلسفة:

- المنطق الوضعي.
- خرافة الميتافيزيقا.
- حياة الفكر في العالم الجديد.
- ديفيد هيوم.
- الشرق الفنان.
- جابر بن حيان.
- نحو فلسفة علمية.
- من زاوية فلسفية.

- الجبر الذاتي.
- قصة الفلسفة اليونانية.
- قصة الفلسفة الحديثة.

وبالإضافة إلى هذا له مؤلفاته في الفكر والثقافة مثل:

- قشور ولباب.
- تجديد الفكر العربي.
- المعقول واللامعقول.
- ثقافتنا في مواجهة العصر.
- مجتمع جديد أو الكارثة.
- في حياتنا العقلية.
- هذا العصر وثقافته.
- هموم المثقفين.
- مع الشعراء.
- في فلسفة النقد.

- أفكار ومواقف.

- قيم من التراث.

- رؤية إسلامية.

- عربي بين ثقافتين.

أما مؤلفاته الأدبية فهي:

- جنة العبيط.

- شروق من الغرب.

- الكوميديا الإلهية.

- أرض الأحلام.

- أيام في أمريكا.

- قصة الأدب في العالم.

نص
الشهادة والحوار

عبور الحدود إلى عالم الدكتور زكي نجيب محمود أشبه بتسلق قمم الجبال؛ جهدٌ وعرق ومشقة من أجل نتيجة مجزية، نظرة من فوق إلى شمولية المنظر عند السفح.. إن مجتمعنا يموج بعشرات الظواهر؛ الاجتماعية والسياسية والفكرية، وما أحوجنا لكل طاقة نور من كل عقل مفكر؛ لنرى أين نحن.. وإلى أين..

إنه الفيلسوف، كما يسميه تلاميذه.. والأستاذ الدكتور، كما يلقبه الأكاديميون.. والناقد المتخصص كما يناديه الأدباء.. ورائد مدرسة الوضعية المنطقية، كما تصنفه مؤلفاته.. وراهب الفكر، كما تطلق عليه الصحافة.. وهو - أيضًا - شاهد على العصر في هذا الحوار، الذي يرصد فيه الظواهر، ويحلل القضايا، ويسجل المواقف[1].

التعريف بالفلسفة

☜ الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود، في هذا الحوار نحاول أن نرصد الظواهر الاجتماعية والسياسية والفكرية التي تسود في المجتمع خلال هذا العصر الذي نعيشه، وقد اشتهرت بلقب فيلسوف، وهذه الكلمة تثير - أحيانًا - الخوف عند البعض، كما أن البعض الآخر يسيء فهمها، لذا نريد أن نعرف أهمية

---

(١) أجري هذا الحوار في يناير ١٩٨٣م.

الفلسفة للمجتمع، وكيف نستفيد منها في مثل هذا الوقت الذي نحتاج فيه لكل جهد وكل عقل من عقول مصر؟

- أقولها بغير تواضع: إنني لست فيلسوفًا، ولا أظن أن الوطن العربي بأسره به فيلسوف، بل إن العالم كله إذا اشتمل اليوم على فيلسوفين أو ثلاثة فسيكون ذلك خيرًا وبركة..

أولًا: ما الفلسفة؟ ومن هو الفيلسوف على وجه الدقة؟

- بداية أقول: لكل عصر قضاياه، وهذه القضايا تطرح في المناخ الفكري فيحاولها كل من يستطيع أن يحاولها من زاويته؛ المفكر من زاويته، والفنان من زاويته، والأديب من زاويته... وهلم جرا..

لكن في أي عصر برغم التشتت والتفرق الذي قد يبدو على السطح، قد يبدو على هذا السطح أن الفكر في ناحية والفن في ناحية، والأدب في ناحية ثالثة.. وكأن عالم الفكر وحده مفرق بين عدة زوايا للنظر، ولكن في حقيقة الأمر يستحيل أن تجد عصرًا يستحق أن يسمى عصرًا إلا أن يكون هنالك عند الجذور العميقة مبدأ أو جملة من المبادئ الكبرى تضم العصر كله بكل أشتاته وبكل متفرقاته،

وحده الـذي يحفـر الأرض الفكريـة ليستخرج منهـا تلـك الجـذور المشتركة التي منها نبتت شجرة العصر هـو الفيلـسوف. فالفيلـسوف يبدأ - منطقيًّا - من المتفرقات الفكرية أو الثقافية أو الأدبية أو الفنيـة التي تحيط به في عصره، ثم يصعد أو يهبط على حد سـواء؛ لأنـه عـلى كل حال يريـد أن يـستقطب هـذه المتفرقـات في الأم الواحـدة التـي تضمها، فإذا وصل إلى مبدأ يفترضه هو، ويقـول إن المبـدأ أو الأم أو الينبوع هو كذا وكذا في هذا العصر، ويبرهن على ذلك بأن يبين لنا أن شـتى أنـواع الوجـود والفكـر والإنـسان والأخـلاق والجماليـات، والسياسة وغير ذلك إنما هي فروع لذلك الينبوع وبنـات لتلـك الأم المشتركة، وفي هذه الحالة يكون فيلسوفًا، وتكون أهميتـه في أنـه يـضع أصابعنا وأبصارنا على نقطة واحدة نستطيع أن نراهـا جميعًـا، فنـزداد فهمًا لعصرنا؛ لأنها حينئذٍ ستكون بمثابة الشرح.

هذه هي الفلسفة وهذا هو الفيلـسوف، في كـل عـصر مـن العـصور تُستقطَب ثقافتُه في مبادئ عامة، ثم يأخذ الفيلسوف الذي اسـتقطب في بسط وشرح كيف أن الفـروع تنبـت مـن تلـك الأصـول أو مـن تلـك الجذور.. وإذا ما استهلكت القضايا المطروحة في المناخ الفكري وتحـول

الناس إلى قضايا أخرى جديدة نكون حينئذٍ قد استدبرنا عصرًا فكريًّا واستقبلنا عصرًا فكريًّا آخر، ونكون على جذور أخرى ومبادئ أخرى ونحتاج إلى فلاسفة آخرين؛ للكشف عن تلك الأصول وتلك الجذور.

من هنا، كان لكل عصر فلسفته وفلاسفته، ولكن طريقة العمل وطريقة النشاط الذهني في النظر الفلسفي واحدة في كل عصر.

هل قلت ذات مرة: إذا كنت تخاف أن تفكر فلا تقرأ مؤلفاتي؟

- لا.. لم أقل ذلك أبدًا.

هل جاء ذلك في أحد الكتب التي كُتِبت عن الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود؟

- أنا لا أعرف أن هناك كتبًا صدرت عني، ولكن أعرف أن هناك رسائل جامعية كثيرة تتناول أعمالي، وليس منها في مصر - أظن - إلا واحدة، والباقي كله خارج مصر، ومع ذلك كان هؤلاء الباحثون يأتون لمقابلتي، لكنني لم أر الثمرة النهائية لأي واحد منهم. على كل حال، أنا لا أذكر أبدًا أني قلت ذلك.

بهذا المفهوم وهذا التحديد والتعريف للفلسفة والفيلسوف ودوره في المجتمع، لو طبقنا هذا الكلام على عصرنا الحاضر وعلى

مجتمعنا الذي نعيش فيه، فما ملاحظات الدكتور زكي نجيب محمود على هذا العصر؟ وبداية هل له سمات محددة تصنفه بين عصر من العصور؟

- بلا شك، وبما أن الحضارة - أقصد حضارة هذا العصر - هي من صنع الغرب، ونحن وغيرنا ننقل الحضارة وآثارها وثمارها ونهتدي بها رضينا ذلك أم كرهنا، لذلك كان الفلاسفة هنالك في الغرب، فإذا وُجِد أحد منهم فهو في الغرب؛ لأن الفكر فكرهم، وقد قلنا: إن الفلسفة استقطاب للفكر والثقافة السائدة واستخراج المبادئ.. فالفلسفة في الغرب إذن والتي ننقلها نحن وندرسها، وقد ندخل عليها إضافات هنا وهنا، لكن هذا لا يمنع أن الأصل أصلهم هم ونقلناه نحن.

ويمكن التبسيط والقول بأن الفلسفة تنقسم إلى أربعة معسكرات أو أربعة اتجاهات بحسب التقسيم الجغرافي للعالم؛ لأن التقسيم الجغرافي يستتبع تقسيمًا في الاتجاهات الفكرية، لكن هذه الأربعة جميعًا تعود فتلتقي في جذور مشتركة هي سمة العصر، أما الأربعة فهي: في الشمال الغربي لأوربا بصفة عامة يأخذون بتحليل العلوم، وبتحليل الفكر العلمي لاستخراج البنية العلمية ليعرفوا ما هي، وما

الأساس المنطقي الذي تقوم عليه علوم هذا العصر، فيحللون قضايا العلم؛ للوصول إلى ما يسمونه القضايا الأولية في العلم، فهو تحليل للعلم، وهذه هي الفلسفة هناك.

في أمريكا، الفلسفة هناك فلسفة براجماتية، ما معنى براجماتية؟

معناها أن المعيار الحق - الذي نقول من خلاله: هذه فكرة صحيحة وتلك فكرة باطلة - ومعيار التفرقة بين ما هو صحيح وباطل في الفكر هو النتائج، بمعنى أن كل فكرة تثمر نتيجةً عملية في الحياة وتضيف شيئًا ما هي فكرة صحيحة، وبالطبع تتفق مع عصرهم وحضارتهم خصوصًا في أمريكا. والاختلاف واضح بين هؤلاء وبين ما قد كان في الماضي؛ ففي الماضي كانت الخطة هي أنني إذا أردت أن أعرف هل الفكرة صحيحة أم باطلة فإني أرتد إلى أصول ماضية وأقيس الفكرة إليها؛ لأرى هل تنطبق فتكون صحيحة أو لا تنطبق فتكون باطلة، لكنهم يرون غير ذلك، حيث يقولون: إنك لا ترتد إلى معيار ماضٍ، بل تنظر إلى المستقبل بحثًا عن المعيار، والمعيار هو النتائج التي تتولد عن فكرة أو لا تتولد.

المدرسة الثالثة أو الاتجاه الثالث يوجد في غرب أوربا على وجه العموم، وهو الوجودية، والوجودية أساسها حرية الإنسان الفرد،

بمعنى أن الإنسان يصنع نفسه بالقرارات التي يتخذها، بإرادته الحرة، فبمقدار ما يؤلف الإنسان بنفسه قراراته التي يتخذها في حياته ويكون هو صاحبها يكون إنسانًا حرًّا، وبالتالي يكون إنسانًا على الإطلاق.

وهذه المدرسة بالطبع جاءت كرد فعل للعالم الصناعي الذي ساد في تلك الفترة؛ لأن الإنسان في الصناعة يفقد ذاته، حيث يكون أمام آلات وأجهزة، وما عليه إلا أن يراقب ويقوم بدور صغير جدًّا في العملية الصناعية، التي لا يعرف لها بداية أو نهاية، وإنما يعرف فقط الدور الصغير الذي يكرره مرات ومرات أثناء ساعات العمل، ولذلك؛ كان لا بد من ردة فعل لهذه الآلية التي أصبحت تسير بها حياة الإنسان، فجاء رد الفعل في الفلسفة وفي الفن معًا، ففي الفلسفة جاءت الوجودية لتقول: إن الإنسان بقراراته الحرة؛ وذلك ليتيحوا للإنسان مجالًا آخر غير مجال العمل في المصنع يكون فيه ذاتَه ويكون فيه نفسَه، ويخلق ذاته بقراراته الخاصة. أما الفن فقد أخذ اتجاهات جديدة، فاللوحة تتشكل بالفنان، ولا تُسأل عن مدى انطباقها على أي واقع في الحياة، بل تُسأل عما في نفس الفنان فقط؛ من حيث التكوين والتركيب والألوان والخطوط وهكذا.. وبهذا استقل الفنان

بذاته عن أي شيء يملي عليه كيف تكون لوحته، وهذا - أيضًا - انتشال للفردية الإنسانية من الغرق الذي غرقته في الصناعة الآلية..

ما ذكرته مثال واضح لما سألتك عنه من أثر الفلسفة ودورها في المجتمع، وأنها ليست مجرد نظريات كما يظن البعض، وإنما لها دور واضح في المجتمع كما بيَّنتَ.. أليس كذلك؟

- بلى.. وهؤلاء البعض مخطئون في ظنهم؛ لأن الفلسفة انعكاس حقيقي لما يضطرب به المجتمع من أفكار وتيارات ووجدانات وهكذا..

والمدرسة الرابعة أو الاتجاه الرابع في الفكر الفلسفي هو المادية الجدلية التي تتركز معظمها في شرق أوربا..

هذه أربع مدارس فكرية، وقد يسأل البعض عن أول عصر في هذه الأربع، فنقول: هذه المدارس الأربع كلها - على اختلافها الشديد كما يبدو - تتفق في أم واحدة وتلك الأم هي أن ما يهمني هو الإنسان على هذه الأرض وفي هذا العالم؛ كيف يعيش وكيف ينبغي أن يعيش، ولا داعي إطلاقًا للبحث فيما وراء هذا الإنسان.

ولذلك، سواء كانت الفلسفة تحليلًا للعلوم أو رؤية للنتائج التي تترتب على الأفكار، أو وجودية تضمن حرية القرار للإنسان أو

مادية جدلية تقول: إن التاريخ عبارة عن انعكاس للنظام الاقتصادي الذي يخضع له الإنسان.. هذه الأربعة كلها تحصر اهتمامها في الإنسان.. وهذا هو عصرنا.

بهذا التحديد لسمات هذا العصر السائدة، وبما أن مصر جزء من هذا المجتمع العالمي، فهل هذا الكلام ينسحب على مصر؟

- هذا الكلام ينسحب على مصر بالتأكيد من حيث هي ناقلة لا من حيث هي مبدعة، ولماذا هذا؟ لأننا ننقل العلم الأوربي والفكر الأوربي والفن الأوربي، ولو أننا نعدله هنا وهناك. ولكن ما دمنا قد نقلنا فلا بد أن ننقل فلسفته وهذا هو ما يحدث، فما ندرِّسه في أقسام الفلسفة في جامعتنا هو الفلسفة الغربية، بالإضافة إلى الفلسفة الإسلامية التي كانت - وهي ليست موجودة الآن - أيام أن كانت الحضارة مصدرها المسلمون في الشرق الإسلامي والعربي، هذا بالنسبة لموقف مصر.

وهناك إضافة أضيفت إلى هذه الأربعة أجنحة التي ننقلها، وهي الفكر الديني أو قل: ما وراء الفكر الديني من فلسفات..

فنحن متدينون بحكم تاريخنا وبحكم عقيدتنا الحاضرة التي معظمها الإسلام وبعضها المسيحية، وتديننا أعمق تدين شهدته

الدنيا، ولا أقول ذلك على سبيل المبالغة؛ لأن مصر عاشت على الأقل ستة آلاف سنة حضارات - وأقول حضارات بالجمع وسأشرح ذلك - محورها جميعًا الدين، فهذه الفترة الطويلة جدًّا لإنسان يعيش باستمرار حياة يبنيها على عقيدة دينية أو أخرى، وهي عقيدة دينية دائمًا، لا بد أن تترك طبقات جيولوجية في ثقافته.

ولذلك تجد المصري وديعًا ومهذبًا وفيه عذوبة تميزه عن كل إخوانه العرب الآخرين فيما أعتقد؛ لأن الدين يرقق الطبع.

وأعود إلى ما أشرت إليه بخصوص كلمة الحضارات ولماذا ذكرتها بالجمع، وأقول: إن الستة آلاف سنة أو السبعة آلاف سنة التي عاشها الإنسان المصري لم تكن كلها حضارة واحدة، فالمصري اجتاز أربع حضارات وهو الآن يخوض الخامسة؛ فالأربع حضارات هي: الحضارة الفرعونية، والحضارة اليونانية الرومانية، والحضارة المسيحية، والحضارة الإسلامية، ثم نحن الآن نخوض الحضارة الخامسة وهي حضارة الغرب الآن.

وهنا تأتي المحاولة التي نحاولها سواء بلورناها أم لم نبلورها بعد، وهي أن نضيف جناحًا خامسًا للأربعة أجنحة التي ننقلها عن أوربا، وهو الجناح الديني. فلا بأس أن أنظر إلى نتائج الأفكار لا إلى ماضيها،

وأن أحلل قضايا العلوم، وأن أكون حرًّا في إرادتي ومسؤولًا عن قراراتي، وأن أفسر التاريخ كما تفسره المادية الجدلية؛ لأقرر أن الإنسان إنما يبني تاريخه بناء على ما يصنعه هو، لا بأس من قبول هذا أو ذاك أو قبولها جميعًا، لكن - وكما لو كان لسان حالنا يقول - بشرط أن أضيف جناحًا خامسًا؛ وهو أنه إلى جانب ذلك فلا بد أن أتصور أن للإنسان حياة أخرى هي امتداد لهذه الحياة وحساب عليها.

☜ هذه النقطة الأخيرة من أركان الإيمان بالله تعالى، وعنصر من عناصر الإيمان الستة في الفكر الإسلامي، وفي هذا الصدد أذكر لك تعريفًا للإيمان قلته في أحد ندواتك، وهو أن الإيمان بالله تعالى وصفاته يستتبع بالضرورة أن المؤمن بها يحاول أن يتمثل بهذه الصفات السامية والعالية ويجعلها معايير للسلوك، وفي النهاية ستؤدي إلى خير البشرية.. نريد توضيحًا أكثر لهذا المفهوم..

- هذه الفكرة نقلتها عن الإمام الغزالي في كتابه الضوء الأسنى في أسماء الله الحسنى، ففي هذا الكتاب شرح الغزالي أولًا معاني أسماء الله الحسنى كلها، فقال: إن هذه الصفات نفسَها - باستثناء اثنين - هي بمثابة أسماء أعلام، والاسمان المستثنيان

هما الله والرحمن، فهذه ليست صفات وإنما أسماء والباقي أسماء صفات. وقال: إن ما هو صفة لله - سبحانه وتعالى - على سبيل الإطلاق هو - أيضًا - صفة للإنسان الكامل فقط على سبيل التحديد، فالله - سبحانه وتعالى - حي والإنسان حي، وما علينا إلا أن نحلل ماذا نعني بالحياة هنا.. الله - سبحانه وتعالى - عليم والإنسان عليم، ولكن علم الله مطلق وعلم الإنسان مقيد.. الله - سبحانه وتعالى - مريد والإنسان مريد، ولكن إرادة الله مطلقة وإرادة الإنسان مقيدة.. وهكذا إلى آخر الأسماء، فكأنما بهذه الأسماء الحسنى نستطيع أن نرسم خريطة للأخلاق الإسلامية.

حددت الآن الخطوط العامة للفلسفة السائدة في هذا العصر، والتي حصرتها في أربع فلسفات، وأضفت إليها الفكر الديني، وقلت: إن هذه الاتجاهات الخمسة هي السائدة في هذا العصر وهي التي تحكمه فكريًّا.. لو انتقلنا إلى مجال التطبيق، فما أثر هذا على المجتمع المعاصر، وإلى أي الظواهر أدت هذه الخطوط الفكرية في هذا العصر الذي نعيشه؟

- والله.. لو دخلنا في دنيا التطبيق، فإن الذي أتمناه في مجال التطبيق هو أن نأخذ هذه الاتجاهات الخمسة جميعًا دون أن نفرق بينها كما اعتدنا أن نفرق، حيث إننا نفرق لدرجة أننا نعترك بعضنا مع بعض، وكلٌّ منا يدافع عن أحد هذه الأجنحة دون الأجنحة الأخرى.

وفي رأيي أن هذا تقسيم للميدان إلى عدة أقسام فقط على أن الميدان كله مطلوب، فهذه المبادئ ينبغي تطبيقها في الحياة العملية عندنا، فأولًا التحليل العلمي بالطريقة التي يحللون بها العلم ويبينون كيف يمكن للعالم أن يتأكد من يقين القضايا التي يقول بها ومدى صدقها، وما معيار الصدق في هذه الحالة.. وفي الحقيقة، لقد أُخذت أنا شخصيًّا بهذا التيار وأعطيته اهتمامي، وهو ما يسمونه بالوضعية المنطقية أحيانًا أو بالتجريبية العلمية وأنا أفضل هذا الاسم الأخير، ودربت عليه لا لأني أنكر بقية الفروع؛ بل لأني اعتقدت أن هذا هو أهم ما ينقص مجتمعنا العربي؛ حيث إننا لا نقول إلا كلامًا حتى في أخطر المواقف ولسنا على استعداد تام لإثبات صحته؛ لأن الرغبة في رنين اللفظ وجمال التركيب اللفظي تجرفنا، فنراعي هذا الصقل اللفظي قبل أن نراعي ما إذا كانت الجملة في نهاية الأمر سيكون لها

معنى علميٌّ أو لا حتى في مسائلنا الموضوعية العامة التي كان ينبغي أن تخضع لهذا المنهج العلمي.

هذا أول تطبيق لأول الفروع، أما تطبيق الفرع الثاني وهو أن الفكرة إنما هي فكرة بما يترتب عليها من نتائج، فهذا يحتل مكانًا من الأهمية، ويلزمنا جدًّا عند التطبيق، فمثلًا إذا قدم لي وزير من الوزراء تقريرًا ما أو مفكر من المفكرين فكرة ما فسأقول له: قل لي بالتفصيل ماذا تكون نتائجها.. أو أرسل لي سيناريو يوضح النفع الذي سيترتب على هذه الفكرة لأزنه في مقابل التكاليف أو الجهد أو غير ذلك؛ إذ ربما أختار طريقًا آخر أنفع وأرخص، وهذا هو تطبيق البراجماتية.. بمعنى أن يحكم على الفكرة بنتائجها، وعليه عندئذٍ أن يتخيل هذه النتائج على سبيل التخيل العلمي وهو الآن بالفعل منهج من المناهج.

هل هذا مثل دراسة الجدوى التي تضعها الشركات لمشروعاتها؟

- فعلًا.. مثل دراسة الجدوى أو شيء من هذا القبيل.. والفرع الثالث الوجودية، وهي بمعناها الحقيقي تعني أن الإنسان حر في قراره، لكنه - أيضًا - مسؤول أخلاقيًّا عن هذا القرار، وفي الحقيقة هذا نجده في صميم العقيدة الإسلامية التي تنص على

أن المسلم حر في اتخاذ قراره وهـو مسؤول عـن هـذا القـرار، فالقرآن الكريم ينص على أنه في يوم الحساب لن يشفع لـك في القرار الخاطئ أن تقول فلان: قال لي، أو: الزوجـة قالـت، أو: الأب قال، أو: الحاكم قال؛ لأنك مسؤول عما فعلت.

وهذه هي المسؤولية الأخلاقية التي تترتب عـلى حريـة الإنـسان، وقد حللت بالتفصيل فيما يسمونه بالوجودية.

أما الفرع الرابع وهو المادية التاريخية، بمعنى أن التاريخ إنما ينبنـي على العملية الـصناعية، بمعنـى أن أي أدوات يـستخدمها النـاس في الصناعة سيكون لها انعكاسات في الأدب والفكر، بالطبع هم بـالغوا بعض المبالغة في هذا الأمر، ولكن إذا طرحنـا المبالغـة جانبًـا ينفـسح الطريق أمامنا للتطوير، وأعرف كيف يكون هذا التطوير، فإذا أردتَ - مثلًا - أن تطور الفلاح المصري فطوِّر أدواتـه أولًا..فمـثلًا اجعلـه يحرث بطريقة أخرى، وهو على مدى الزمن سيكون فلاحًا آخر، مثلما نسمع عن الميكنة الزراعية، التي ستخلق إنسانًا آخر على مدى الأيـام والسنين، وثق تمامًا أنك ستجد ضبطًا للـزمن وضـبطًا للتعامـل مـع الآلة التي يستخدمها.

في هذا الصدد وبمناسبة الحديث عن فلاح هذا العصر، هل تلاحظ أن هذا الفلاح تغير عن فلاح العصر الماضي؟

- نعم هو تغير ظاهريًا، أما في لبه فلم يتغير، وهذه ملاحظة رصدتها ولها تفصيلات كثيرة وربما لم أنشرها نشرًا كافيًا بعد.. لكن يمكن القول إن مصر عندما تتغير في كتلة الشعب عما كانت عليه من مائة سنة أو أكثر فإن التغير يبدو على الأسطح، ولكن الرؤية العامة التي هي محور الإنسان ولبه وضميره لم تتغير، وهذا واضح جدًا من تحليل ما يجذب المشاهدين للتلفاز مثلًا أو المستمعين إلى الراديو، ومن المتكلمين من يجذب الملايين.

ما ملاحظات سيادتك على هذا؟

- ألاحظ أنهم ما زالوا لا يقبلون الإقبال الكافي على فكر هذا العصر، لكنك إذا حدثتهم عن الفكر الديني يستمعون إليك، وهو الجناح الخامس الذي كان من المفترض أن أضيفه عندما استعرضت الأربعة أجنحة، لكنه بالطبع ذو أثر واضح في المجتمع.

وفي نهاية الأمر وكما ترى فإن هذه الفلسفات هي في الواقع تنظيم لطريقة التفكير من وجه أو من آخر، وغاية ما هنالك هي مجردة

وبعيدة عن أرض الواقع مسافة ومنطقًا فقط لا فعلًا.. لماذا نقول ذلك؟ لأنها مستقطبة ومستقاة مما يحدث فعلًا إلا أنها صعدت درجة بعد درجة إلى أن وصلت إلى المبدأ المجرد جدًّا الذي قد يخيل للإنسان أنه بعيد عن الواقع مع أنه كما صعدنا إليه من أرض الواقع نستطيع أن ننزله مرة أخرى درجة فدرجة بالاستدلال حتى نعود مرة أخرى إلى أرض الواقع. فهذه الفلسفة وسيلتنا الحَرِيَّة بالتطبيق.

☜ **في رأي الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود ما أهم الظواهر الفكرية السائدة، وأهم المشكلات التي تواجه الحركة الثقافية في مصر؟**

- أهم ما يلاحظ على حركة الفكر في مصر ظاهرة أراها بوضوح جدًّا في شعب مصر، وربما لا أراها بالوضوح نفسه في أي شعب آخر ممن أقرأ عنهم؛ كإنجلترا مثلًا أو فرنسا.. وإذا تتبعنا المسار من القرن الثامن عشر وقبل أن تأتي الحملة الفرنسية إلى الآن بنظرة طائر نفهم ما أقوله، فنظرة الطائر ترصد المنظر بشموليته دون تفصيلاته الصغيرة.. وفي هذه النظرة أرى أنه في القرن الثامن عشر قبل أن تأتي الحملة الفرنسية بقيادة نابليون وتفتح

الأبواب على حضارة أوربا كان هنالك علماء بالأزهر يدرسون وناس يعملون وهكذا.. عندئذ كان هناك تجانس تام بين ما يسمونه عالـمًا أو العلماء وبين الشعب، بمعنى أن الشعب لم يكن بمثابة بدن والعلماء المتخصصين في شؤون الدين والعقيدة وأحكام الشرع رأس منفصل عن هذا البدن، لم يحدث هذا أبدًا، بل كان هؤلاء متصلين بأولئك، وفقط الناس يعملون ويريدون أن يطمئنوا إلى تفصيلات عقيدتهم وتفصيلات أحكام الشرع، فيسألون هؤلاء العلماء، وتنشأ بينهما علاقة أخذ وعطاء، ولذلك كان عالم الأزهر يعود إلى القرية بعد تخرجه في الأزهر فيكون واحدًا من أبنائها، وكل ما هنالك من فرق بينه وبين الناس في القرية أنه عرف وهم لم يعرفوا.

ولكن لما جاءت الثقافة الأوربية الجديدة وأخذت تنتشر، وجدنا أنفسنا - خصوصًا ابتداءً من أواخر القرن الماضي - أمام فئة من الناس نطلق عليهم جماعة المثقفين، وبقية الشعب.. وفي هذه الحالة، انشغلت جماعة المثقفين بقضايا ليس لها صدى واضح في حياة الناس، فانشغلوا بقضايا الأدب والفن والنقد الأدبي والنقد الفني والقضايا

الفلسفية وغير ذلك، وثارت قضايا مثل: الأصل الذي نرتد إليه، هل هو فرعوني أو عربي، وهل نكتب من اليمين لليسار أو من اليسار إلى اليمين.. فأمثال هذه القضايا التي ثارت بين مفكرينا أشبه بالكرة في الملعب تتداولها أقدام اللاعبين فقط، أما الشعب فلم يكن يشارك؛ لأن هذه القضايا لم تكن تهمه في قليل أو كثير، ولذلك لم يكن لهؤلاء المثقفين إلا أقل الأثر في كتلة الشعب. لقد تغيَّروا من حيث هم أفراد، فتحسن حال كل فرد منهم بما عرف وبما درس، ولكن لم تنتقل هذه الحسنات التي اكتسبها أفراد جماعة المثقفين لتكون صفة من صفات جمهور الشعب.

كان ينبغي أن يتسلل كثير مما قالوه إلى الشعب؛ ليخلق فيهم ذوقية جديدة وإحساسًا جديدًا كما كنا نرجو، ولكن هؤلاء القلة من المثقفين كانوا يكتبون والشعب لا يقرأ؛ بسبب الأمية أو لأي أسباب أخرى تضاف إلى الأمية، فأصبحنا أمام ظاهرة انسلاخية عجيبة استمرت إلى أن قامت ثورة ١٩٥٢، وقد ظلت بعدها قائمة إلى أن حدث ما هو أعجب، حيث كانت القلة في الفترة السابقة في ناحية وكتلة الشعب في ناحية أخرى من الناحية الفكرية إلا أن القلة كانت تحاول أن ترفع الشعب إليها، وكان هنالك علامات تدل على أن

الشعب من حين إلى حين قد يرتفع في جانب أو في آخر؛ مثل الجانب السياسي أو جانب حرية المرأة أو جانب العناية بالصحة أو بالطفولة، فأمثال هذه الجوانب كلها كانت تأتي من المثقفين فتتسلل إلى الشعب، أما في العشرين سنة الأخيرة فانعكس الوضع، وما تزال الفجوة قائمة بين الرأس والبدن، ولكن البدن هو الذي يريد أن يشد الرأس إلى أسفل. وفي كثير جدًّا من الظواهر نرى أنه يوفق، بمعنى أن كثيرين ممن كانوا ينضمون إلى ما نسميهم جماعة المثقفين نزلوا ليكونوا مع كتلة الشعب في وجهة نظرهم، ووجهة نظرهم هي وجهة النظر الدينية وليس إلا. ولا غبار ولا عيب أن يكون اتجاهي دينيًّا، بالعكس هذا واجب على كل متدين وعلى كل مسلم، ولكن العيب هو أن أجعل هذه النظرة تقيم لي محورًا فكريًّا فيما عدا ذلك بحيث تجعلني دائمًا أشد نفسي إلى الوراء، فلو كان عندي نظرة دينية تعمل كالدينامو في بناء المستقبل فمرحبًا بتلك النظرة، فالإسلام أول ما جاء كان كذلك، كما يظهر في سيرة الخلفاء الراشدين وعلماء الإسلام، فهؤلاء كانوا في قمة الإيمان الديني وفي الوقت نفسه كان هذا الإيمان الديني هو الدافع لبناء المستقبل وبناء حضارة إسلامية وثقافة إسلامية، فلو كان هذا متحققًا الآن لما شكا أحد، ولكن الأمر

هو أنني لا أتحرك تقريبًا إلا بأن ألتفت إلى الوراء بدلًا من أنظر إلى الأمام، فإذا قارنا المرحلة التي نحن فيها الآن بالمرحلة التي مرت بها مصر، لنقل من أواخر القرن الماضي إلى ١٩٥٢ لقلنا: إن الفرق هو أنه بينما كان جماعة المثقفين في الفترة الماضية تحاول أن تشد الكتلة الشعبية إلى أعلى وإلى أمام أي إلى المستقبل، الآن ألاحظ أن كتلة الشعب هي التي تحاول أن تشد جماعة المثقفين إلى صفوفهم لتنظر معهم إلى الخلف.

هل هناك أمثلة من الواقع المعيش أو من المجتمع على هذا الكلام؟

- يكفيني أن أشير في هذا الصدد إشارات، فمثلًا نأخذ العصر مبلورًا في أشخاص أو في اتجاهات، فعندما أقول: مَن الشخص الذي يمكنك أن تجعله عنوان العصر الماضي؟ أقول: طه حسين أو ربما لطفي السيد، ولكن طه حسين عندي أوضح، وإذا كان ذلك كذلك فماذا في طه حسين يلخص لي العصر؟ هو الاستفادة من الماضي كله أي التراث ولكن على أطراف أنامله وفي شعاب نفسه، فهذا التراث لم يتركه أبدًا وإنما استعان به في نظرته للمستقبل الجديد، والمستقبل الجديد يغذى بحضارة العصر وثقافته.. هذا هو طه حسين وهذا هو العصر الذي

عاشه تقريبًا خمسون سنة أو ستون سنة منتجًا، وهذا مثال للفترة الماضية.

أما المرحلة الحالية فاعذرني إذا لم أذكر أسماء؛ لأن الأسماء في ذهني، ولكن يكفي أن أشير إلى الظاهرة التي ترتبت على تلك الأسماء وهي الانحراف الديني أو التزمت الديني أو التعصب الديني الذي نراه وما زلنا نخوض معه معاتبات ومحاسبات.. فهذا التطرف الديني كيف نشأ؟ نشأ التطرف الديني في ظل المناخ الجديد الذي نبت، فهؤلاء المتطرفون دينيًّا ليسوا من الفلاحين ولا العمال، بل من المثقفين والطلاب وبعضهم أساتذة وغير ذلك، وبدلًا من أن يكونوا أجنحة لمعسكر المثقفين أصبحوا أجنحة للكتلة التي تنظر إلى الماضي، لا ليكون عدة سلاح لبناء مستقبل جديد على أساس الثقافة الجديدة، ولكن ليكون الماضي هو فقط، هذا هو الفرق الكبير والذي قد يبث شيئًا من الرغبة في التعديل السريع والأمل في ألا ننسى أحد الجانبين. وعلى كل حال، اضمن لي أن الرؤية في الماضي إنما هي للقفز إلى مستقبل جديد يأخذ في حسابه العصر الذي نعيشه وأنا أرحب بها..

خاصة أن الإسلام يضم هذه الأفكار وتلك القوى الدافعة إلى الأمام..؟

- بلا شك.. ولتتأكد من ذلك انظر إلى تاريخ الإسلام في الأربعة قرون الأولى على الأقل، حيث الإيجابية والإبداع في النواحي كافة، فالإيمان القويُّ جعلهم - مثلًا - ينشئون عدة علوم من أعمق العلوم على هذا الأساس نفسه، وهو نفسه الذي دعاهم إلى دراسة اللغة العربية دراسة لا نظير لها على يد الخليل وسيبويه وغيرهما، وعندما نسأل: لماذا هذا العمق؟ فالإجابة هي: ليفهموا القرآن فهمًا صحيحًا. ودعا - أيضًا -الفقهاء الذين أستطيع أن أقول عنهم واثقًا مما أقول: إنهم أحسن تطبيق عملي للمنطق العقلي الذي نادي به، فقد رأيناه عند هؤلاء الفقهاء، حيث يطبقون المنطق في استخراج الأحكام من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية بالاستنباط والتأويل والتفسير. فهذه حركة فكرية محورها ولبها الإيمان، تدفع إلى الأمام، وإلى مستقبل للأمة الإسلامية تريد أن تبنيه.

ما الذي تأخذه على الحياة الفكرية والثقافية المعاصرة، ليس على إطلاقها وإنما وجودها الفكري في أجهزة الإعلام ووسائل النشر؟

- أجهزة الإعلام أو وسائل النشر بحكم طبيعتها تخاطب الجماهير؛ وإذا لم تخاطب هذه الأجهزة الجماهيرَ فإنها تلام على

ذلك؛ لأنها خلقت لهذا، وعلى ذلك فهي وسائل الاتصال الجماهيرية، وأنا أقول ذلك لا لألوم وإنما لأشرح ما هو قائم.

هناك أمران لا بد من توافرهما في طريقة العرض في هذه الوسائل؛ كي تؤدي غرضها. الأمر الأول: لا بد أن تبسط المادة المعروضة؛ لأنها تخاطب الجماهير، والأمر الثاني: لا بد أن تجزئها في أحاديث مدتها عشر دقائق أو ربع ساعة أو نصف ساعة إلخ.. حتى تكون الحصيلة النهائية عند المتلقي مادة مبسطة ومجزأة، فإذا ربيت مواطنًا على هذه المصادر وحدها سأجد في عقله محصولًا ثقافيًّا لا يتجاوز الفتات، وقد تكون كل جزئية على حدة لا بأس بها، ولكني مع ذلك أريد أن أجعله صاحب رؤية أو صاحب وجهة نظر، فنحن نستهدف دائمًا بالثقافة أن يكون لكل إنسان وجهة نظر خاصة، فهذه هي الثقافة في أبسط معانيها، أي إنه ما لم تنشأ وجهة نظر ورؤية خاصة على أساسها أتصرف، فإن الثقافة لم تؤد واجبها، ولم تصل إلى نتائجها بعدُ.

فهذا الفتات الذي يتراكم في عقلية المتلقي مما يراه ويسمعه لن يؤدي إلى وجهة نظر موحدة. ولذلك أقول دائمًا: لا بد أن أضيف إلى جانب هذه الوسائل الكتابَ؛ لأن له شأنًا آخر، حيث إن موضوعه

متصل، فإذا جمعنا إلى وسائل الاتصال المرئية والمسموعة الكتابَ وقراءته فإننا نبلغ ما نريد.

☜ هذه التجربة تحققت في السلاسل الشعبية التي كانت تصدر في مصر في فترة من الفترات بأسعار معقولة تمكن الطلبة وعامة الناس من شرائها..؟

- نعم.. كانت هذه السلاسل الشعبية تصدر للطلبة والقارئ العادي، لكنني لا أربي فقط هؤلاء، بل أريد أن أقيم هرمًا ثقافيًّا لكل درجة من درجات الثقافة في أي مكان؛ وأقول هذا؛ لأن هناك مغالطة غريبة جدًّا أراها كثيرًا في ما يقوله المسؤولون، فكثيرًا جدًّا ما يؤكدون على ثقافة الجماهير، وهذا شيء مطلوب، لكن مَن الذي ينتج ثقافة الجماهير؟ أليس مثقفًا فوق الجماهير؟ هم ينسون هذه النقطة؛ فلكي أثقف الجماهير لا بد أن أكون أعلى منهم درجة حتى أعطي مما عندي، وأنا بدوري لا بد أن يكون فوقي من يغذيني، وهكذا.. فالحياة الثقافية إذن هرمية؛ تتكون من قاعدة عريضة ثم تخصص وتعمق يقل أعداد المشتغلين به وهكذا إلى أن نصل إلى ذروة بها نفر قليل وهم الرواد في الحياة الثقافية.

نذكر في هذا الصدد إلى جانب السلاسل الشعبية رخيصة الثمن التي كانت تستهدف الشباب والقارئ العادي ورجل الشارع - كان هناك سلاسل متخصصة وكتب متخصصة ومجلات ثقافية متخصصة للمتخصصين.. ألا يكفي هذا لتحقيق ما تدعو إليه؟

- لا أقصد من كلامي السلاسلَ، وإنما أريد أنه أقول إنه لا بد أن تتاح الكتب التي تستهدف طبقة الصفوة. ومما يدعو إلى العجب أن كلمة الصفوة تلك أصبحت تقشعر منها الأبدان كأنها سبة أن أكون من الصفوة أنا وغيري، فنحن نريد هذه الصفوة لكي تربي مَن دونها ومَن دونها إلى أن نصل إلى من يستطيع أن يخاطب الجماهير، فيثقفهم.

هل هناك ملاحظة للدكتور زكي نجيب محمود على الحياة الفكرية والثقافية في مصر الآن؟

- الموقف الثقافي في مصر في الفترة الأخيرة له جوانب إيجابية تميزه عن الفترة السابقة، وله - أيضًا - جوانب سلبية، أما الجانب الإيجابي والذي لا يجوز أن ننساه هو أن الوسيط الآن الذي يلجأ إليه المثقف في معظم الأحيان والذي ينقل وجهة نظره هو الإبداع؛ قصةً أو روايةً أو مسرحيةً أو فنونًا؛

كالتصوير أو النحت أو الموسيقى إلخ.. فهذه الوسائط كلها تتطلب إبداعًا.

في الفترة الماضية لم تكن الوسيلة بهذه الدرجة الإبداعية، بل كانوا في معظم حالاتهم يعرضون ما يدرسونه أو يقرؤونه، فقد كان كل الأعلام في الجيل الماضي يقرؤون على شعبتين؛ الشعبة الأولى: التراث العربي والشعبة الثانية الثقافة الأوربية، ويهضمون الاثنين معًا، ثم يعرضون هذا وذاك، فيتلقى المتلقي حقيقةً هاتين الشعبتين، ويستوحيهما إذا كان عنده إلهام المبدع فيبدع ما يبدعه، لكن كان جانب القراءة وعرض المقروء في الأساس أكثر من جانب الإبداع، لكن في الفترة الحالية أصبح جانب الإبداع أقوى من جانب القراءة، وهنا يأتي الجانب السلبي وهو أن معظم من يبدعون لا يقرؤون، ويظنون أنهم طالما يمتلكون ملكة بناء قصة أو قصيدة من الشعر أو مسرحية أو غير ذلك، فقد كفى واستوفى.

وفي الواقع هم لا يشعرون أنه في كثير من الحالات يأتي نتاجهم الإبداعي خاليًا من المضمون الفكري، ولعلك تسألني: ماذا أقصد بهذا؟

الفنـان - بـالطبع - لـيس مـسؤولًا عـن الفكـر، كـما هـو حـال الفيلسوف مثلًا، فالفيلسوف يتعامـل مـع الأفكـار مبـاشرة، ولكـن الفنان يبدع قصة أو مـسرحية؛ ليـصور التفاعـل الإنـساني في الحيـاة القائمة كما يراها، فيتخيـل لهـا تركيبـة معينـة تكـون هـي القـصة أو المسرحية، بحيث نجد في هذه التركيبة المعينة صورة قويـة لمـا يحـدث على أرض الواقع، لا أريد أن أقول: إن هذه صورة فوتوغرافيـة مـن تلك، وإنما الإيحاء الذي أتلقاه مما أراه أو مما أقـرأه يعطينـي مـصباحًا أفهم به ما يقع حتى ولو كـان الـذي في صـورته الظـاهرة لـيس هـو بالضبط ما أقرأه في القصة أو المسرحية.

يأتي الصف الأول من المبدعين ويكتبون قصة أو مسرحية ثم يـأتي النقاد بعد ذلك وينبشون في هذا العمل المبدَع فإذا ما وجدوا في جوفه درة فكرية يستخرجونها، كأنما المبدِع أراد أن يـضع هـذه الفكـرة في مجرى السلوك البشري، وبدل أن يتعامـل معهـا مجـردة تعامـل معهـا وهي تسير في مجرى السلوك البشري وحركة التفاعـل بـين النـاس في معترك الحياة، فالناقد ينبش في هذه التفاعلات التي يراهـا في القـصة أو المسرحية؛ ليرى عـلى أيـة فكـرة ترتكـز، فالمـسرحيون اليونـانيون القدامى مثلًا أو «شكسبير» أو القصصيون الكبار كـ «ديستوفـسكي»

و«تولستوي» وغيرهما، لا بد أن يخرج الناقد بعد قراءة أعمالهم بفكرة كبرى كامنة في القصة أو في المسرحية، وهذه الفكرة ربما لم تكن في الوعي الكامل للفنان؛ لأنه غير مسؤول عن فكرة مجردة، فهذه الفكرة أستخرجها من الطريقة التي جرت بها التفاعلات البشرية كما صورها هو في قصته أو في مسرحيته، ونأخذ مثلًا على ذلك، وليكن مسرحية أوديب، فهي تفاعل بشري بين ملك وملكة وشعب وابن طريد ثم يعود ويحدث أن يتزوج بأمه وهو لا يدري أنها أمه وهكذا.. فالناقد عندما يأتي بعد ألفي سنة مثلًا وينبش في هذه الكتلة التفاعلية في السلوك، سيجد فيها فكرة كبيرة جدًّا، وهي علاقة الابن بأمه من الناحية الجنسية، ثم يأتي عالم مثل فرويد فيقيم نظرية سيكولوجية على هذا الأساس، بل ويعطيها هذا الاسم ويقول عقدة أوديب. فالنقد القوي هو الذي يجد ما يتصيده من القطعة الإبداعية القوية، كمسرحيات شكسبير مثلًا، فليس بينها مسرحية إلا ويستخرج الناقد القوي الضفيرة الفكرية التي ترتكز عليها؛ لأنها لن تعرض مجردة كما قلت.

في الفترة الحالية وفي كثير من الحالات يكتب المبدع القصة أو المسرحية وقد تمتعني قراءتها، ولكن لا تؤثر على المدى البعيد.. لماذا؟

لأنه ربما ينصرف إليها ناقد قوي؛ ليستخرج الدرة الفكرية منها، فتخرج الشبكةُ وهي خالية، وذلك لأنه لا فكرة أساسية تدور عليها التفاعلات، ومن السذاجة أنهم أحيانًا يضعون الفكرة على السطح، فمثلًا تكون الفكرة عن الاشتراكية أو غير ذلك، فيضعها المبدع على السطح، ولسطحيتها يكون من السهل على الطفل أن يمد يده فيأخذها، فليس هكذا يكون الأدب ولا الإبداع الفني.. يجب أن تكون الفكرة خفية تحتاج إلى ناقد يستخرجها.

☜ أذكر مقولة للشاعر الشهير ت.س إليوت يقول فيها: إن العصر الحاضر أصبح عصرًا معقدًا، لدرجة أن الشعر ينبغي أن يكون معقدًا أيضًا؛ ليتمكن من التعبير عن هذا التعقيد الذي يوجد في المجتمع.. ما مدى صحة هذا الكلام؟

- هذا الكلام صحيح، ولذلك عندما نتتبع الشعر في أوربا - وخصوصًا إنجلترا بالذات، حيث أعرف عنه شيئًا ما معرفة قارئ هاوٍ، وليس معرفة أستاذ في الأدب، فلست أستاذًا في الأدب - لو تتبعنا المراحل التي سار فيها الشعر الإنجليزي منذ الحرب العالمية الأولى وتقريبًا منذ سنة ١٩٢٠ إلى الآن نجد هذا واضحًا، ولا سيما في المرحلة الأولى بعد الحرب مباشرة في

العشرينيات، حيث خرج الشعراء من محنة الحرب فوجدوا أنفسهم أمام عالم غريب انساق وراء جماعة من الساسة إلى مجازر الحرب، فضاقوا بالساسة الذين جروهم جر النعاج، ولذا تعمدوا أن يكتبوا شعرًا لا يفهمه الناس، ومن هنا جاء «جيمس جويس» James Joyce، و «ت. س إليوت»، و«إزرا بوينت» وغيرهم، فهؤلاء عقدوا الشعر عن عمد، وعقدوه بأي شيء؟ لقد عقَّدوه بثقافات متعددة، ولذلك كما قال الناقد: إنك لا تستطيع أن تقرأ لأي واحد منهم إلا وأنت متابع لهذه الثقافات؛ لأنك في كل سطر ستجد إشارة إلى اسم ما، فتظل تبحث في الكتب لتعرف إلى أي شيء يشير؛ إذ إنه لن يقول لك صراحة ما يقصد، بالإضافة إلى استخدام لغات متعددة، فإزرا بوينت وإليوت فعلا هذا.

استكمالًا للسؤال السابق، ما دور المثقفين في رأيك في مثل ظروف المجتمع الحالية؟

- في رأيي وأقولها صادقًا: إن الظروف التي يعيشها المجتمع الآن هي أهم عامل جعلني أختار الفلسفة التجريبية العلمية من تيارات الفلسفة، وهي التي تنادي بأن القول من الأقوال ينبغي

أن يُظهِر التحليل العلمي له أنه ممكن التطبيق على الواقع، وقد سرت في هذا المسار بكل تفصيلاته؛ كتابة ومحاضرات وبكل جهدي في الإذاعات؛ لإحساسي بأن حياتنا الثقافية قائمة على غير ذلك.

سيادتك قطعت شوطًا طويلًا في تأكيد أهمية العقل وأهمية عدم الخلط بينه وبين الذات أو الوجدان ومع ذلك يبدو أن مجهوداتك لم تؤت ثمارها بدليل هجوم البعض عليها مؤخرًا.. أليس كذلك؟

- بالفعل لم تثمر إلا قليلًا جدًّا؛ لأنها ضد ما ألفه المصري أو قل العربي بصفة عامة، حيث يفضل صقل اللغة حتى لو كان ذلك على حساب المعنى الذي ينبغي أن يكون لتلك اللغة في دنيا الواقع.

هل معنى هذا أن حضارتنا تشتمل على جزء كبير جدًّا لفظي أو شفوي؟

- هذا كثير جدًّا في حضارتنا؛ لأن الجانب الفني هو أبرز ما فيها، وهو الذي استنزف طاقتنا الفنية، فمعظمها صرف في اللغة، وهذا لا عيب فيه إذا كان الهدف فنيًّا، ولذلك لا ألوم الأديب

أو الشاعر إذا أعطاني جملة فيها جمال فني، من حيث الصقل والتكوين، بل بالعكس هذا مطلوب منه، باعتباره جزءًا منا، ولكن اللوم يبدأ عندما يُطبَّق هذا المبدأ نفسه في صياغة الجمل وهو يشير إلى وقائع زراعة وتجارة وصناعة ودستور حكم ونظام تعليم وغير ذلك.

وفي هذا السياق نذكر للمنفلوطي قولًا يبين ميل المصري أو العربي بصفة عامة إلى هذا، حيث قال: أنا أفضل وصفًا جميلًا لبستان على أن أرى البستان نفسه.

فهذا نموذج لنا نحن، وهو مقبول ومستحسن إذا كنا في دنيا الأدب والفن، ولكنه يكون أبعد عن القبول إذا كان يتناول المجالات العلمية العملية، كالزراعة والصناعة وغيرهما من مجالات الحياة العملية.

عصر انتقال بين حضارتين

☜ **البعض يطلق على هذا العصر أسماء معينة، فيقولون مثلًا: عصر العلم أو عصر الفضاء أو عصر العقول الإلكترونية، أي إن لكل واحد تسمية معينة.. ماذا تسميه أنت؟**

- في الحقيقة هو عصر فيه أمور كثيرة يجمعها جميعًا تسمية واحدة وهي أنه عصر انتقالي بين حضارتين؛ حضارة استقرت في القرن التاسع عشر وما قبله، وحضارة أخرى يرجى أن تستقر في القرن الآتي أي القرن الحادي والعشرين، وقد كتب على معظم القرن العشرين أن يكون هو مرحلة الانتقال بين الاستقرارين، ولذلك تلاحظ أن القيم كلها مهتزة، والصواب والخطأ ما زالت الفواصل بينهما غير واضحة، ومن هنا جاء ضياع الشباب؛ لأنه لا يستطيع أن يختار على بينة سليمة، وأنواع الحكم مختلفة لا ندري أيها الصواب، وأنظمة الاقتصاد مختلفة ولا ندري بالضبط أيها الأنسب، بل حتى الفلسفات والاتجاهات الأدبية، فخذ مثلا القصة، تجد أصحاب الأدب الروائي من يوم لآخر يخرجون بنوع جديد من الرواية ونوع جديد من المسرحية، وهذا معقول وهذا لا معقول.

يحدث هذا كله في هذا العصر؛ لأنه عصر تجارب سريعة، لعلنا نرسو على ما نطمئن إليه في الفروع المختلفة، التي من مجموعها تتكون حياة مستقرة، وهذا لم يحدث بعد، ولذا فهذا العصر يعد عصر انتقال بين الحضارتين.

☜ **أعتقد أن هذا الكلام ينسحب على مصر أيضًا.. أليس كذلك؟**

- لا شك في ذلك.

ظاهرة خطيرة

☜ **اتفقنا في بداية الحوار على أن الفلسفة تلعب دورًا مهمًّا في خدمة المجتمع، وأنها ليست مجرد نظريات كما يظن البعض، وإنما هي انعكاس حقيقي لأفكار المجتمع وطريقة حياته، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لو نزلنا إلى الشارع المصري وحاولنا رصد الظواهر التي طرأت عليه، فما أهم هذه الظواهر؟**

- أستطيع أن أختار من بينها ظاهرة أراها خطيرة، وربما هي التي ترتب عليها عدة ظواهر فرعية أخرى، وهي أن المصري خرج عن طبيعته مؤقتًا، وأرجو أن يكون ذلك مؤقتًا، فقد كان في طبيعته مراعاة الآخرين، بمعنى أنه حين يتصرف كان يتصرف والآخرون في اعتباره، فكان من الصعب جدًّا على المصري أن «يدوس» على الطرف الآخر، أيًّا كان هذا الطرف؛ الجار أو زميل العمل، أو المتسوق، أو غير ذلك.. ولكن، في هذه السنوات الأخيرة يلاحظ بوضوح شديد أن الإحساس بالآخر كاد ينعدم، بمعنى أن الفرد يتصرف في حياته كما لو كان وحده

في هذه الدنيا، وليس هناك غيره، فالذي يعنيه نفسه فقط، ولا ينشغل بشيء غير نفسه.

وفي اعتقادي أن هذا حدث عندما تكاثرت في حياتنا أخيرًا الحالات التي يصل فيها الإنسان إلى منصب كبير، أو ربح وفير، أو نفوذ واسع بغير جهد، لقد كان المألوف - بالطبع - أن يتخرج المتخرج ليبدأ حياته العملية من الصفر أو من درجة دنيا على كل حال؛ لصغر سنه، فيعمل؛ ليصعد درجة درجة، وعندما يصبح موظفًا كبيرًا أو تاجرًا ثريًّا أو عالمًا حصَّل كثيرًا من المعرفة، ولم يكن ابن ساعة أو يوم يصل إلى هذا الذي وصل إليه، لكن جاءت ظروف في فترتنا الأخيرة هذه مكنت الصغير من الوثوب من أدنى إلى أعلى طائرًا فوق الدرجات الوسطى، وهذه الدرجات الوسطى بها أناس كتب عليهم أن يصعدوا الدرجات متوالية، فهؤلاء ينظرون فوقهم فيجدون هذا الطائر يقفز فوق رؤوسهم بهليكوبتر، ويصبح في غمضة عين هو الرئيس، هو المسؤول، هو صاحب النفوذ، هو صاحب المال، هو صاحب القوة في المجتمع، بينما عليهم - هم - أن يطيعوا أو أن يتبعوا، أو أن يكونوا على أية حال صغارًا بالنسبة إليه. فهل يمكن إلا أن يسأل السائل: كيف وصل هذا إلى تلك المكانة؟

لقد وصل بشطارة أخرى بعيدة عن الجهد والعمل، وعن مكابدة عقبات الطريق التي اختارها ليصعد منها، حيث قفز فوق تلك العقبات بمعونة آخرين، يستعين بهم ليصعد.

وصعوده - كما قلت - هو في الواقع يغض النظر عن هؤلاء الصاعدين في الدرجات الوسطى، ومرة وراء مرة سادت قيمة جديدة في غاية الخطورة، وهي الحصول على أكبر مكسب يمكن أن أحصل عليه مالًا أو منصبًا أو نفوذًا بأقل جهد يمكن أن أبذله، وهذا هو المبدأ السائد في النفوس الآن، وإن لم نفصح عنه فهو كامن في نفس كل واحد فينا.

وهذا المكسب الذي أحصل عليه بأقل جهد ممكن لا يمكن أن يتحقق إلا على حساب آخرين جاهدوا وكابدوا ولم يصلوا بعد. وبالتدريج، فقدنا الشعور بالآخرين، وكان نتيجة ذلك ما كان مما نسميه لا مبالاة، تسيب، ورشوة، واغتصاب أموال الحكومة إلى غير ذلك من أمراض اجتماعية.

المجتمع يتعافى من أمراضه

☜ قلت: إن هذه الظاهرة مؤقتة، فهل ذلك يرجع إلى أصالة الإنسان المصري؟

- أعتقد ذلك؛ لأن التاريخ طويل وراء المصري وأمامه، وهو مثل الإنسان قوي الصحة حين يمرض بإنفلونزا أو غير ذلك، فترجيح الطبيب أنه سيقوم من هذا المرض ليعاود ويستأنف صحته القوية مرة أخرى؛ لأنه لم يكن عليلًا.

والمصري يتميز بخصائص أصيلة جدًّا على مدار التاريخ، من أهمها إحساسه بضرورة التكافؤ بين العمل والجزاء إن لم يكن ذلك في الدنيا ففي الآخرة، وذلك بحكم تدينه، وهذا التكافؤ بين العمل والجزاء في هذه الدنيا أو في غيرها جعله يتعود - أي يكتسب عادة - إتقان العمل، حتى ولو كان الأجر قليلًا، فهذا كان هكذا.

هذه السمة نراها تنطبق على أصحاب المهن كالسباك والنجار وغيرهما، فعندما كانوا يقومون بعمل معين في منزل ما كانوا يتقنونه ولا يغالون في الأجر..؟

- نعم.. لا يأتي الأجر عندهم في المقام الأول.. لكن اليوم وقد انعكس الوضع، فهل يمكن بين يوم وليلة أن يختفي الإحساس الديني العميق الذي يربط العمل بالجزاء إما هنا في الدنيا أو هناك في الآخرة؟ لا يمكن ذلك.. لذا، فإن هذه الانتقالة لا بد أن نستأنف بعدها ما كنا نسير عليه، خصوصًا وأن مثل هذه

الصفات القوية متجذرة في نفوسنا، فهي لم تولد في شهر أو شهرين أو سنة.

ومن هنا يجب لفت الناس في مجملهم إلى العمل الصالح، أما ما نقوله في أمثالنا: «اعمل العمل وارمه البحر»، ففي الحقيقة أنت لا ترمه في البحر، وإنما أنت تنتظر جزاءه فيما بعد إذا كنت لم تأخذ جزاءه في الدنيا.

☜ **بنفس المنطق الذي تناولت به هذه الظاهرة، نريد أن نعرف كيف نشأت هذه الظواهر فجأة، أليس مثل هذه الظواهر تأخذ وقتًا طويلاً لتظهر في المجتمع؟**

- أستطيع أن أقول: إن هناك ظروفًا اجتزناها، جعلتنا مضطرين إلى إسناد مراكز القيادة ومسؤولية الأعمال إلى أناس ليسوا أهلًا للقيام بتلك المسؤولية، ففي فترة ما بعد الثورة كان الولاء للثورة أهم من الكفاءة، بمعنى أن الاعتماد كان بالدرجة الأولى على صاحب الولاء؛ لحماية للثورة، وهو بدوره يستخدم من يريد أن يستخدمه من أصحاب الكفاءات، وقد كان نتيجة ذلك أن وُضعت الخيوط في أيدي مَنْ لهم ولاء وليس لهم دراية بميدان العمل الذي يتولون مسؤوليته، وبالتالي صار لهؤلاء

الذين أمسكوا أطراف الخيط الكلمةَ العليا، وقوة التسيير، وقوة الأمر، وما على مَن تحتهم إلا أن يطيع!

وكان نتيجة هذا - أيضًا - أن الذين يعملون مع صاحب الولاء هذا تحت رئاسته أخذتهم المرارة من ناحيتين، الناحية الأولى أنهم يرون مَن دونهم في السن يحكم في ميدان ليس ميدانه ولا خبرة له فيه، والناحية الثانية أنهم وهم أهل الخبرة والكفاءة لم يصلوا إلى مراكز القيادة التي وصل إليها صاحب الولاء الذي لا يتمتع بأية خبرة أو كفاءة.

وترتب على ذلك - أيضًا - الانفصالُ بين المسؤولية والأمر، بمعنى أن صاحب الأمر ليس هو المسؤول عما يُرتكَب من أخطاء، فهب مثلاً أنك أسندت إلى شخص قيادة ميدان من الميادين، وهذا الشخص له أن يأمر المشتغلين بعمل كذا وكذا، وسارت أعمال هؤلاء المشتغلين على طريق خطأ، فأنتجت الأخطاء - فمن يحاسَب على تلك الأخطاء؟

لقد كان في الأغلب ألا يحاسب صاحب الأمر، وإنما كان يحاسب الذين ارتكبوا هذه الأخطاء. لذا يجب أن تجتمع مسؤولية المنصب وحمل تبعات الأخطاء التي تقع في شخص واحد، أما الانفصال بينهما فيؤدي إلى اهتزاز الصورة.

ونجد الظاهرة نفسها التي أشرت إليها سابقًا، وهي الوصول إلى أكبر مكسب في أسرع وقت بغير جهد - نجدها في مسألة اختلاس أموال الشعب؛ لأن المختلس يريد أن يصبح غنيًا بغير جهد، كما أننا نجدها - أيضًا - في الرشوة، فالمرتشي كذلك يريد أن يجمع مالًا باستغلال وظيفته من غير جهد، فكل ذلك ينبثق من ينبوع واحد، وهو القفز فوق رؤوس الدرجات الوسطى؛ للوصول من الأدنى إلى الأعلى بغير عناء.

وتبقى للمصريين حسناتهم

☜ هناك - بالطبع - في مقابل هذه الظواهر السلبية هناك ظواهر إيجابية وصحية طرأت - أيضًا - على المجتمع المصري في هذا العصر..

- لا شك في هذا..

☜ مثل ماذا؟

- تستطيع من الظاهرة نفسها التي أشرتُ إليها أن تستخرج حسنة كبرى يتمتع بها الإنسان المصري وتدل على أنه لا بد أن يعود كما كان، وهي تتمثل في أنه - وهو يعمل هذا - لا يجرؤ أن يفصح

به أو أن يدافع عنه كمذهب في الحياة، وإذا جرؤ ودافع يومًا، فإنما يدافع عما كان يؤمن به باعتباره مصريًّا أصيلًا.

ومعنى هذا أن إيمانه ما زال بقلبه، وغاية ما هنالك أن ظروفًا عابرة جعلته ينحرف، فإذا ما تغيرت هذه الظروف فإنه يعود مرة أخرى إلى المبادئ الكامنة في نفسه.

هذا من جهة ومن جهة أخرى، نجد في مقابل اللامبالاة وغيرها من الظواهر السلبية التي أشرت إليها آلافًا من المصريين - ربما يكونون متوارين ويقع عليهم البصر هنا وهناك في أركان ساحة الحياة - يعملون بإخلاص، وفي غاية الكد والكدح والجهد، ومع ذلك لا يشعر بهم أحد.

وفي هذا الصدد، أذكر أنني مرة قضيت في سفري مدة طويلة، فنصحني أحد الأشخاص بأن أخبر مصلحة التليفونات بأنني سأغيب عدة سنوات؛ ليوقفوا الخدمة مؤقتًا، حتى لا تتراكم الفواتير خطأ، فقمت بتبليغ هذا، فرفعوا التليفون من الخدمة؛ ظنًّا منهم أنني أطلب ذلك.

وعندما عدت من السفر، وجدت الحرارة مرفوعة، فظننت أنها مرفوعة مؤقتًا، لذا اشتكيت حتى تعود الحرارة، ففوجئت بأن

التلفون مرفوع من الخدمة، تخيل هذا في أزمة التليفونات، ولهذا عانيت كثيرًا، حتى اضطررت في نهاية الأمر إلى مقابلة وزير المواصلات وعرض شكايتي عليه بالتفصيل، فوافق على إرجاع الخدمة بشرط أن أدفع كل التكاليف التي يتحملها من يشترك في الخدمة لأول مرة، وقيمتها سبعون جنيهًا، فقبلت هذا.

وبعدها أحببت أن أتابع سرعة التنفيذ، فذهبت إلى الإدارة العامة بباب اللوق، حيث إن المكتب المنوط به هذه العملية هناك، وعندما وصلت إلى هناك وجدت ازدحامًا كبيرًا أمام مكتب الموظف المسؤول، وكان رئيس العمل في هذا المكان، فانتظرت دوري، وأقسم بالله غير حانث في يميني أنني أثناء انتظاري كنت في أشد العجب والإعجاب من تفاني هذا الرئيس في خدمة المواطنين، حيث كان يقوم بأكثر مما يطلب منه، لدرجة أنك تشعر بأن هؤلاء المواطنين إخوته وأسرته الحميمة، وكأن مشاكلهم التي يعانونها هي مشاكله هو.

وقد دفعني تفانيه في أداء الواجب إلى أن أرسل إليه خطابًا خاصًّا باسمه بمجرد رجوعي إلى البيت، بعد أن لمحت اسمه من اللوحة الموضوعة على مكتبه. وقلت له في هذا الخطاب: إنني امتلأت إعجابًا

به؛ لأنه مثال للمواطن المصري الذي يعمل بإخلاص ودون رقابة من أحد.

فهذا نموذج لفئة كثيرة موجودة في المجتمع تبذل قصارى جهدها في سبيل نجاح العمل الذي يتولون مسؤوليته، ومنهم على سبيل المثال المشتغلون بالإعلام أو في مبنى الإذاعة والتلفزيون، فقد لاحظت أن أولادي وإخواني المذيعين الذين يأتون إليَّ ليجروا معي حوارًا - يتفانون في عملهم ويحبونه، وهذا وحده يكفي في أية مهنة، ورغم أن المذيع أو المذيعة منهم قد يقطع مسافات طويلة على نفقته وفي ظل زحام المواصلات؛ فإنه يتحمل ذلك كله؛ ليُخرِج عملًا يشرِّفه هو وإخوانه من العاملين معه.

هذا التفاني الذي رأيناه في شريحة الحرفيين في المدينة، نجده أيضًا عند الفلاح الذي يمثل جسد الشعب، فانظر إلى الفلاح متى يستيقظ وكم ساعة يعمل في فلاحة الأرض، ستتأكد أنه لا يعرف اللامبالاة، لأنه يقوم يوميًّا لصلاة الفجر، فيصلي ثم يذهب إلى الحقل.

هل تغير فلاح اليوم عن فلاح الأمس، خصوصًا وأنه يسهر أمام التلفزيون، مما يجعله غير قادر على الاستيقاظ مبكرًا؟

- لا أعرف كيف يقضي فلاح اليوم وقته، لأنني منذ فترة طويلة لم أقم بزيارة قريتي «ميت الخولي عبد الله»، لكن ما أخبرتك عنه هو ما شاهدته. وعلى كل حال، فإن سهره أمام التلفزيون ليس فيه تضييع للوقت؛ لأنه إذا كان سيبيع ساعتين من العمل في الحقل؛ ليشتري بهما ساعتين من السهر أمام التلفزيون، فهذه في الحقيقة ليست فيها أية خسارة.

مصر هي أنت

نخلص مما سبق إلى أن مصر ما زالت بخير، وأن الأصالة المصرية معقود عليها الأمل؛ باعتبارها السد والحصن الذي يقي من هذه الظواهر المرضية، لذا هل تعتقد أن الإنسان المصري الأصيل سيعود مرة أخرى بهذه القيم وتلك الأصالة؟

- أنا لا شك في هذا.. وقد كتبت مؤخرًا كتابًا تحت عنوان «مصر هي أنت يا صديقي»، وهذا الكتاب كان رد فعل لموقف قابلت فيه أحد الأشخاص، كان يعمل في بلد عربي، حيث كان ساخطًا على الأوضاع التي آلت إليها مصر، فقلت له: مصر هي أنت، فأنت عندما ذهبت إلى البلد العربي الذي تعمل به، حملت في حقائبك العلم الذي أعطته لك مصر.

إذا كنا نطالب الإنسان المصري بالمشاركة، ونقول دائمًا إننا كلنا يد واحدة، ونستطيع بمشاركة بعضنا بعضًا أن نصنع شيئًا - فما المطلوب من المصري في هذه الفترة لتحقيق ذلك؟

- أستغل ما قلت قبل ذلك ليكون هو الذي أوجهه إلى المصري، وخصوصًا الشباب، لذا، أقول له: كن على ثقة بنفسك، فمصر هي أنت.

هل العزلة التي اخترتها لنفسك الآن عزلة جغرافية أم عزلة فلسفية تضم موقفًا فكريًّا أو فلسفيًّا من الحياة؟

- والله.. لا هذا ولا ذاك.. لكن الحقيقة أنني كنت في حياتي كلها منذ الطفولة الباكرة إلى هذه اللحظة على شيء من الانطواء؛ لظروف معينة لا يعلمها إلا الله، ويمكن أن تعرف جذور هذه الميول بوضوح من كتابي «قصة نفس» الذي أعدت كتابته مرة أخرى، وسيصدر – إن شاء الله قريبًا. وقد حللت في هذا الكتاب نفسي من الداخل؛ لأتتبع كيف بدأت النوازع والميول التي تلاحظها فيَّ الآن.

كانت حياتي مشوارًا طويلًا عشته راغبًا في الانطواء إلا إذا اضطرتني ظروف عملي إلى غيره؛ لأنه لا يمكن أن أنطوي على نفسي

وأنا ما زلت أعمل، لكن حين تقاعدت انطويت، فـما الـذي يجعلنـي أخرج من البيت إذا كان ممكنًا أن أنجز عملي وأنا فيه.

وقد انصرفت في عزلتي إلى تحصيل المعرفة من كل النواحي، حيث وجدت سعادتي في قراءة كتاب أو نقد فكرة أو كتابـة انطباعـات قـد تخرج في صورة مقالات أو في صورة كتب أو قد لا تخرج.

فهذه هي حياتي كما عشتها، كان كـل هـذا أفـضل عنـدي مـن أي شيء آخـر، وكـان الخـروج لـضرورة، فـإذا انتفـت هـذه الـضرورة فالخروج في نظري كان خسارة كبيرة، حيث يصرف الجهد في الخارج في المواصلات والانتظارات في المكاتب وخلافـه، وهـذا كلـه وقـت ضائع. أما وجودي بالبيت فيتيح لي الاستفادة من هذا الوقت.

أيها الشباب.. تزوجوا متى استطعتم

☜ **من معلوماتنا الخاصة عنك، عرفنـا أنـك تزوجـت بعـد التخـرج بخمس وعشرين سنة أي ربـع قـرن كامـل، فهـل هـذا نـصيحة للشباب بألا يتزوجوا مبكرًا أم ماذا؟**

- أبدًا أبدًا.. وفي الحقيقة، أنا لا أنصح إطلاقًا الـشاب أو الـشابة بأن يـؤجلا زواجهـما أكثـر ممـا ينبغـي، أمـا إذا كـان التأجيـل

اضطرارًا فماذا نصنع حيال هذا؟ لكن، لا بد أن ألتمس الحيلة بأي شكل من الأشكال لأتزوج في سن الزواج، وإني أقولها صادقًا: إنني لم أشعر بنعمة الحياة كاملة إلا بعد أن عشت مع شريكتي، نتبادل الأفكار والمشاعر حتى ونحن صامتان، ونحمل همًّا مشتركًا، وننظر إلى المستقبل نظرة واحدة، وبيننا التعاطف والود والتراحم الذي أوصى به القرآن الكريم.

فإذا كان كل هذا هو أثر نعمة الزواج فلماذا يؤجل الشباب هذه النعمة؟ فالتأجيل إذا كان لظروف مادية فأنت مضطر إليه، أما إذا وجدت الزواج ممكنًا فلا تؤجل باختيارك، وهذه هي نصيحتي للشباب.

إذا تأجل الزواج بدون اختيار الشباب، فما الحل الذي تقترحه عليهم ليخرجوا به من هذه المشكلة؟

- هذا في الحقيقة فوق مستطاعي، فماذا أصنع أمام هذه المشكلة العويصة؟! لأنه أحيانًا قد يكون التأجيل بسبب عدم وجود مسكن، فمن أين لهم به في ظل أزمة السكن؟ لكن البعض حل هذا بالعيش مع أهل الزوج أو أهل الزوجة، وأخذت هذه الفكرة تنتشر، وفي الحقيقة يجب أن تتوسع.

ويمكن أن أضيف إلى هذه الفكرة صورة لما يحدث في الخارج، فعندنا كل مَن يتزوج يريد أن يسكن في شقة، أما في الخارج فإنه يسكن في غرفة مفروشة، حيث إن الغرف المفروشة هناك واسعة جدًّا ومتوافرة، لدرجة أن كل واحد يجد غرفة ليسكن فيها إلى أن ينمو في حياته فتنمو الغرفة حتى تصبح فيما بعد هي الشقة، بل بيتًا مستقلًا، ففي الخارج يبني الكثير منهم البيت المستقل في آخر الأمر.

ولا أدري لماذا – تحت هذه الظروف القاهرة – لا نتوسع في فكرة الغرف المفروشة مع الأسر؟ فإذا كانت ثقافتنا تمنع هذا حقيقة، إلا أنه – وبحكم الضرورة – يمكن لبعض الأسر أن يتسع صدرها إلى النفع والانتفاع معًا، حيث يمكنها الاستغناء عن غرفة مفروشة ليعيش فيها زوجان معهم، ويمسك هذان الزوجان عن النسل أثناء هذه الفترة إلى أن يفتح الله عليهما بسكن مستقل. وفي هذه الحالة يمكن أن توفر غرف كثيرة مع الأسر، وتنفرج نسبة معينة من هذه الأزمة.

أخوف ما أخاف منه

☜ يرى بعض المفكرين العرب أن الثقافة العربية، بل المجتمع العربي نفسه يمر بأزمة مرعبة؛ لافتقارها إلى تنمية الوعي التحليلي النقدي.. هل رصدت هذه الظاهرة؟

- من أبشع ما يخيفني من الحياة الفكرية في الأمة العربيـة، وهـذا ليس جديدًا، فهو ممتد إلى الـوراء في التـاريخ – غيـاب النظـرة التحليلية النقدية للمـسائل الفكريـة وبـصفة خاصـة، عنـدما يكون هذا التفكير على صلة بحياة الناس العامة، فـنحن أميـل إلى أخذ الفكرة مكورة ككرة الخيط دون التنقيب لما تحتويه هذه الفكرة، ونكتفـي بالـسطح، فنأخـذ كلـمات كالديمقراطيـة أو الحريـة أو الاسـتقلال وكأننـا فهمنـا تفـصيلاتها، وفي معظـم الحالات نكون أبعد ما يكون عن فهم التفصيلات التي تترتب على مدلولات هذه الكلمات.

وفي هذا السياق، أذكر أنني قرأت مـرة لمفكـر غـربي كبـير تحلـيلًا يدور حول تحديد من هو المثقف، ولأول مرة أقرأ هـذا الـرأي، لكـن حقيقة اكتسبته على الأقل ليكون جزءًا من الحق إن لم يكن الحق كلـه، وهذا الرأي يقـول: إن المثقـف هـو مـن يحلـل الفكـرة إلى محتواهـا، فكونك تقول: تحيا الديمقراطية وتقبلها كـما هـي دون أن تـدري مـا تفصيلات الحياة الواقعية التطبيقية لها إذا كانت هناك ديمقراطية، ثـم تذهب إلى بيتك وتسير في الشارع ولا تعيش ديمقراطية؛ فهـذا معنـاه أنك أخذت الكلمة دون مدلولاتها، وهذا هو موقـف غـير المثقـف،

حيث يأخذ الألفاظ الكبرى كما هي ولا يدفعه الشغف أو القلق إلى ضرورة معرفة التفاصيل. أما المثقف بالمعنى الصحيح فيقلقه هذا، مما يجعله يفتت في تفصيلات المعنى فيتكشف له دائمًا تفصيلات تطبيقية للحياة العملية، مما يؤدي إلى فهم المفهومات بشكل أوضح، فمثلًا يتكشف له أن الاشتراكية عدة اشتراكيات، وأن الديمقراطية هي عدة ديمقراطيات، وأن الحرية هي عدة حريات، وهكذا..

الخاتمة

كانت هذه الشهادة الوافية هي شهادة فيلسوف يعرف كيف يلملم الأشتات المتفرقة ليجمع منها كلًّا واحدًا، وكيف يستخرج من الظاهرة العامة التفاصيل الغائبة وإن بدت بعيدة لا اجتماع لها، ولكن صاحبنا ليس فيلسوفًا كما نعلم عن الفلاسفة، ساكني أبراج العاج، ممن يأخذهم الخيال الجموح بعيدًا عن أرض الواقع، يرفرفون في سماوات الفكر المجرد ويأخذهم التيار بعيدًا عن الناس والأحداث حتى لا يكاد أحد يراهم أو يسمع عنهم، فضلًا عن التأثر بهم والتغيير على شروطهم، وهي آفة الفلسفة في الزمن البعيد والزمن القريب.

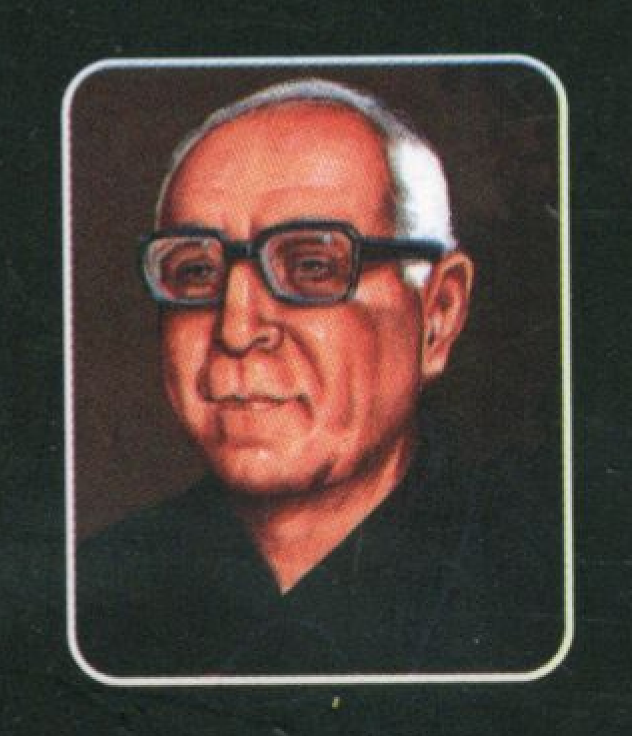
أما صاحبنا، فقد قرأ التراث الغربي وتشبع به زمنًا طويلًا، وانبهر بالعقلية التحليلية العلمية حتى اتخذها ديدنًا، وقرأ تراث العرب، فاعتدلت موازينه وراجع أفكاره مرارًا حتى استحكمت آراؤه ونضج اختياره، فاتخذه مذهبًا آمن به ودعا إليه، وهو مذهب التجريبية العلمية، وهو المذهب الذي يتضح حتى من اسمه مدى

تحريه الواقع والتجربة التي تليق بالمحسوسات المادية أكثر منها بالتجريدات الذهنية.

كانت شهادة صاحبنا شهادة الأديب الذي أنزل الفلسفة من عليائها وألبسها ثياب البلاغة القشيبة وأخرجها للناس أفكارًا جميلة، لا يستغربها أهل الصفوة في زيها الجديد ولا يقليها العامة، رغم جدية ما تحمله وأهمية ما تدعو إليه، فجاءت كما مرت بنا جامعة مانعة، وكونها من عقل يحتفل بالتفكير المنتظم، والرؤية الكلية أضفى عليها الخلود وبقاء الأثر، ومنحها صك الضرورة، ضرورة القراءة ثم العمل بمقتضى القراءة؛ سعيًا لتصحيح المسار وضبط المسير، ولا خوف بعد ذلك فالدليل أمين.

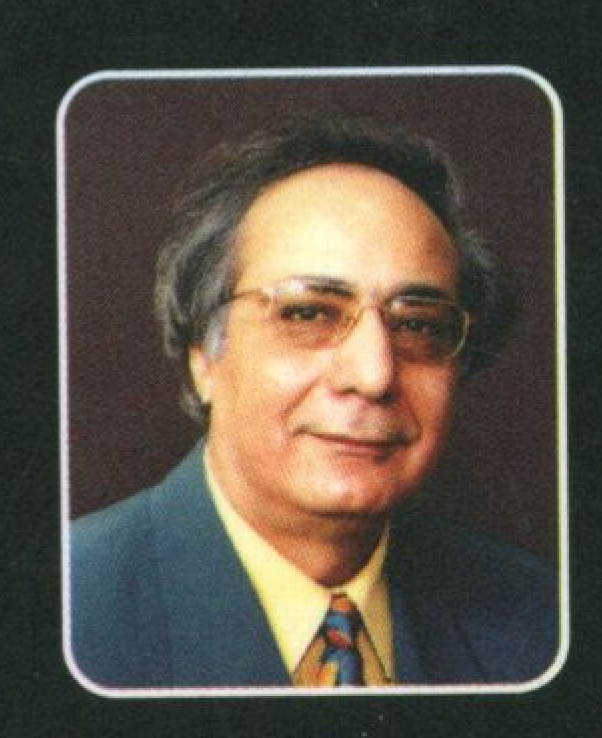
الفهرس

الموضوع **الصفحة**



في هذا الحوار

- رحلة ابن ميت الخولي من الكتَّاب إلى واشنطن..
- شيخ الفلاسفة يتحدث عن المعقول واللامعقول في تراثنا.
- زكي نجيب: »الوطن العربي ليس به فيلسوف«.
- هل كان زكي نجيب ملحداً؟
- زكي نجيب: «إننا نريد لأمتنا أن تسير مع العلم بقوة الإيمان».
- زكي نجيب: «إن ترك التراث كله هو انتحار حضاري؛ لأن التراث به لغتنا وآدابنا وقيمنا وجهود علمائنا وأدبائنا وفلاسفتنا».
- هل للعرب الآن حضارة؟
- زكي نجيب: «حضارة هذا العصر من صنع الغرب.. رضينا أم كرهنا»..
- هل سيطرة الحضارة الأوربية تزعزع تديننا؟
- زكي نجيب: «تديننا أعمق تدين شهدته الدنيا».
- زكي نجيب: «بأسماء الله الحسنى نستطيع أن نرسم خريطة للأخلاق الإسلامية».
- ما رأي الدكتور زكي نجيب في واقعنا الفلسفي؟
- زكي نجيب: «إننا لا نقول إلا كلامًا حتى في أخطر المواقف ولسنا على استعداد تام لإثبات صحته!».
- زكي نجيب: «الإيمان الديني هو الدافع لبناء المستقبل وبناء حضارة إسلامية وثقافة إسلامية».
- زكي نجيب: «فقهاء الإسلام استخدموا المنطق في استخراج الأحكام».
- زكي نجيب: «مصر هي أنت يا صديقي».



الأستاذ عمر بطيشة

- رئيس الإذاعة المصرية الأسبق.
- خريج آداب إنجليزى عام ١٩٦٤ ودبلوم دراسات عليا فى الإعلام عام ١٩٧١.
- قدم العديد من البرامج الإذاعية التي حصدت الجوائز الذهبية، لكن أشهرها " شاهد على العصر" الذى تم نشر حواراته فى هذه السلسلة من الكتب.
- قدم "شاهد على العصر" في البرنامج العام بالإذاعة المصرية من يناير ١٩٨٣ الى مارس ٢٠٠١ حينما انشغل عنه برئاسة الإذاعة المصرية وجمعية المؤلفين والملحنين.
- كما قدم "شاهد على العصر" تليفزيونيا على شاشة القناة الثقافية من ١٩٩٣ الى ٢٠٠٠.

له ثلاثة دواوين شعريه هى:

- "الهجرة من الجهات الأربع" عام ١٩٧٠
- "أغنية إليها" عام ١٩٨٧
- "قصائد حب" عام ٢٠٠١

كما ألَّف عشرات الأغنيات الذائعة لنجوم الغناء فى الوطن العربى.



9 789774 555053
8 28036 55428 7

دار الفاروق
للاستثمارات الثقافية